الباب الرابع

السلام العالمي والإسلام: دراسة

الفصل الأول : موضوع الكتاب

الفصل الثاني : دراسة الكتاب

الفصل الثالث : الخلاصة

الفصل الأول

موضوع الكتاب

موضوع الكتاب :

إن كتاب "السلام العالمي والإسلام" كتاب شامل في الأفكار التى تعلو أصوات الرسالات حول الإمن والسلام في العالم. قد يظهر سيد قطب علي الناس بكتاب ثوري إصلاحي في هذا الكتاب حيث صدر عن دار الكتاب العربي في أكتوبر عام 1951م. وقد يؤلف كتابه في فترة إضطراب علمي، اضطراب في أوضاع العالم السياسية ، وتغير مراكز القوي والثقل فيه ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهور أمريكا قوة جديدة، وارثة للقوي الأوروبية الإستعمارية، وبخاصة الإنجليزية والفرنسية . وظهور الأسلحة الذرية النووية، وتهديد السلام العالمي بالرعب النووي، وعيش الناس في العالم في قلق وهلع ورعب، من جزاء ذالك. لقد يلاحظ سيد أن ما نتج عن الحرب الثانية من قوي جديدة، وأسلحة جديدة، لم يحقق السلام السياسي والإجتماعي والإقتصادي والنفسي في العالم. بل يقاد إلي عكس ذالك السلام المأمول.

ويوازن سيد بين هذا الإضطراب العالمي، وبين السلام العالمي الذي يقرره الإسلام ويدعو إليه. يقدم ملامح هذا السلام العالمي الإسلامي. ويعرض في كتابه بالتفصيل، أربعة مجلات للسلام في الإسلام : سلام الضمير. سلام البيت. سلام المجتمع. سلام العالم. كان يقارن بين السلام كما يقرره الإسلام ، والإضطراب والقلق والعقد والأمراض التي تنتجها المجتمعات الجاهلية المعاصرة، وبخاصة المجتمع الأمريكي ، قائدها ورائدها. وبين في كتابه، أن التكتلات والمعسكرات العالمية الآن، هي المستفدة من

الحروب والقلق والفساد في هذا العالم، ولذالك هي تحارب الإسلام بعنف، كي تحجب نوره عن العالم، ولئلا يحقق مبادئه في السلام العالمي. وقد عقد في آخر الطبعة الأولي من الكتاب فصلا ، بعنوان "الآن" يتحدث فيه عن السياسية الإستعمارية الأمريكية في المنطقة، وكشف زيف الإدعاءات الأمريكية ، حول المعونات المالية والإقتصادية الأمريكية، لدول العالم الثالث النامية.

إن ديننا الإسلامي هو دين التسامح والمحبة والسلام. وهو عقيدة قوية تضم جميع الفضائل الاجتماعية والمحاسن الإنسانية، والسلام مبدأ من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، وأصبحت جزءاً من كيانهم، وهو غاية الإسلام في الأرض. الإسلام والسلام يجتمعان في توفير السكينة والطمأنينة ولا غرابة في أن كلمة الاسلام تجمع نفس حروف السلم والسلام، وذلك يعكس تناسب المبدأ والمنهج والحكم والموضوع وقد جعل الله السلام تحية المسلم، بحيث لا ينبغي أن يتكلم الإنسان المسلم مع آخر قبل أن يبدأ بكلمة السلام، حيث قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم «السلام قبل الكلام» وسبب ذلك أن السلام أمان ولا كلام إلا بعد الأمان وهو اسم من أسماء الله الحسنى. ومما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء سلاماً ورحمةً للبشرية ولإنقاذها وإخراجها من الظلمات الى النور حتى يصل الناس جميعاً إلى أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية في كل تعاملاتهم في الحياة.

ومن المعروف أن العالم بأسره وخاصة العرب قد شهد حروبا كثيرة في زمن نشأة الرسول وقبل بعثته، فكانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها أو مع القبائل الأخرى بسبب أو بدون سبب، وقد جاء الاسلام الحنيف ليخرج الناس من هذه الحياة السيئة والصعبة وينقلهم الى حيث الأمن والامان والسكينة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على إبعاد الناس تماما عن الحروب وعن كل ما يؤدي إليها، وكان صلى الله عليه وسلم ايضاً يبحث دائما عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له. إقرار السلام لا يعني انتفاء الحرب تماماً، بل إن الحرب وضعت في الشريعة لإقرار السلام وحمايته من المعتدين

عليه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين المؤمنين بأن يقاتلوا في سبيله، والله هو السلام، وأمرهم بأن يقاتلوا المعتدين وينصروا المعتدى عليهم الآمنين المسالمين.

إن السلام بمفهومه السلمي هو أمنية ورغبة أكيدة يتمناها كل إنسان يعيش على هذه الارض، فالسلام يشمل أمور المسلمين في جميع مناحي الحياة ويشمل الأفراد والمجتمعات والشعوب والقبائل، فإن وجد السلام انتفت الحروب والضغائن بين الناس، وعمت الراحة والطمأنينة والحريّة والمحبة والمودة بين الشعوب.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عدة قواعد وأحكام ينبني عليها مفهوم السلام، مما يشكل للمسلمين قانوناً دولياً يسيرون عليه، وهذه القوانين والشروط الواجب توفرها حتى يتحقق السلام تظهر في المساواة بين الشعوب بعضها البعض، فالإسلام يُقرِّر أنَّ الناسَ، بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وألسنتهم ينتمون إلى أصلٍ واحدٍ، فهم إخوة في الإنسانية، ومنه قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "كُلُّكم لآدَمَ، وآدم من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على أَعْجَمِيٍّ إلا بالتقوى" كما أن الوفاء بالعهود، ومنع العدوان، وإيثار السلم على الحرب الا للضرورة وإقامة العدل والانصاف، ودفع الظلم، من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدي أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحدًا، فالإسلام يسعى دائما الى استقرار الأمة الاسلامية، كما يستعى الى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الاخرى.

إن أثر الإسلام في تحقيق السلام العالمي يتجلى في تعزيز التعايش السلمي وإشاعة التراحم بين الناس ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وكذلك في نشر ثقافة الحوار الهادف بين أتباع الأديان والثقافات لمواجهة المشكلات وتحقيق السلام بين مكونات المجتمعات الإنسانية وتعزيز جهود المؤسسات الدينية والثقافية في ذلك.

إن الكتاب الذي بين أيدينا أعنى " **السلام العالمي والإسلام**" فهو كتاب محتوي على مئات وسبعة وستين صفحة ، يقسمه الكاتب الماهر سيد قطب على خمسة عناوين الرئيسية وكل عنوان يشتمل على فصول عديدة . فنجد الكاتب يبدأ كتابه ببيان " العقيدة

والحياة" مقدمة. في هذا الصدد يبين عن التوحيد لله تعالى في تخليق الخلق بقدرته ، وفي تصور الحياة من عالم الأرواح والدنيا والموت والبرزخ ويوم القيامة والجنة والنار، وفي جميع أوصاف الله ورسالة النبي أنه خاتم النبيين وشارع العالمين وشافع المذنبين والأنبياء السابقين. ومن أجل ذالك نجد بعد طبائع السلام في الإسلام وهي أثر القومية العصرية ، أثر المطامح والمنافع ، أثر الحروب حب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال أو حب المغانم.

وأما العنوان " **سلام الضمير**" مشتمل على ستة أبحاث وهي المنطق والعقيدة ، والأشواق والضرورات ، والخطيئة والتوبة. والتكليف والطاقة ، والإطمئنان إلى الله ، والضمانات والتأمينات. ويبحث في المنطق والعقيدة عن تعريفهما ، وأهميتهما في الإسلام، وكذالك يبين عن أهمية الضرورات والأشواق في الإسلام . ثم يذكر الخطيئة والتوبة وهما من أسباب السلام. في هذا الشان يشير الكاتب إلى واقعة آدم وحواء وكيف أخطا وتابا ونجا من التعذيب . ثم يبحث عن التكليف والطاقة . ثلاثة نتائج التكليف توجد فوق الطاقة منها الأولى الظلم والعشر والحرمان والكبت ومنع الحياة عن التطوع والترقي والمعتدل . والثانية النفور والجماح والخروج على الأوامر والنواهى . والثالثة القلق النفي الدائم والشعور دائما بالخطيئة . ثم يكتب عن الإطمئنان إلى الله يبين فيه كيف تأتى مصادر الإطمئنان في النفس وكيف يربط العباد مع الله . وعن بيان الضمانات والتأمينات يفحص الكاتب على تحقيق الضمانات والتأمنات على ضوء القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وإضافة إلى ذالك يبين فيه عن الحقوق الإنسانية مثل تحفظ النفس والمال والعزة والمعاش والعقائد.

وأما العنوان **"سلام البيت"** مشتمل على ستة أبحاث وهى الرباط المقدس ، والحدود ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والتكافل العائلي . يبين فيه كيف تربط صلة بين الزوج والزوجة في الإسلام، وبعد الصلة كيف يخلق فيهمنا السكن والقرار والمودة والرحمة والستر والتجمل وغيره من لزومات السلام في أهل البيت. ثم يبين ما هو أحكام الإختلاط في الإسلام. وما صورة التبرج في الإسلام . يوازن فيه بين المجتمع الإسلامي والأمريكي. وكيف تختلط النساء برجال في المجتماعات الغربية . وكذالك يبين عن

الحدود وحكمه وصورته وأهميته في الإسلام بالدلائل القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يبحث عن الطلاق مع صوره الجائزة على حسب الشريعة الإسلامية . ثم يبين عن تعدد الزوجات مع حكمها وأصولها وأهميتها في المجتمع الإسلامي . وكذالك يشرح عن أسبا تعدد الزوجات . في البحث عن التكافل العائلي يضع الحقوق والواجبات لأهل البيت.

وأما العنوان "**سلام المجتمع** " مشتمل على عشرة أبحاث . يبين في بحث الأول عن وجدان الحب والرحمة ، وكيف يتأثر في النفس وكيف يرتبط بين جميع الإنسان. وكيف يصبر المؤمن لمؤمن عند المصيبة ويحاول أن ينجي صاحبه من التكليف . وفي البحث عن الأدب النفسي والإجتماعي. يجهر هناك كيف يحقق الحب والصفاء في النفوس والقلوب، ويعلم آداب السلوك والكلام مع الناس وآداب الشى والصوت وإعراض عن بعض مشاعر كالإسخار والإلماز والتنابز والظن الإثم ، والتجسس والغيبة بدلائل القرآنية والإحاديث النبوية والتاريخ الإسلامية. وفي البحث عن شعور التعاون والتضامن. ويكتشف الكتاب فيه عن واجبات المسلمين وحقوقهم بجملة مع بيان رعاية جميع الناس في المجتمع بإقامة الأمن والسلام . وكذالك يبين عن آداب المعاملات عما يحرم في التجارة عن النقصان في الربا والنفع في البيع بآيات القرآن الكريم . وفي الحق عن الأهداف العليا للحياة . ويظهر به كيف يحقق الإسلام في المجتمع الإسلامي ويبين مقاصد الحياة الإنسانيةفي مجال عروج القومي والنشاط والعمل والخيال . وفي بيان نظام الحكم لإقامة السلام في المجتمع عن طريق التشريع والقوانين والإلزام هو أساس من السلم والعدل والطمانينة . والبحث في بيان عن ضمانات العدالة القانونينة ، يتجلى الكاتب هناك عن أهمية ضمانات العدالة القانونية وفضائلها ومقاصدها بإستشهاد القرآن الأحاديث. وفي البحث عن ضمانات الأمن والسلامة صوضح فيه عن كيفية الوجوبات للفرد على ضمانات أمنه وسلامته في الحياة الإجتماعية . وفي البحث عن ضمانات الحياة المعيشة ، يبرز الكاتب كيف يعرف الإسلام الأنسان بالإنسان وطبيعنته . ويضع بجانب التوجيهات لتوفير الكفاية المعيشة. وكذالك يبين كيف يوفر الإسلام ضمانات المعيشية . ويكفلها ويذكر عملا كوسيلة الحياة الولى في الإسلام . وفي البحث عن التوازن الإجتماعي يحقق الكاتب كيف

يعمل التوازن الإجتماعي في كل موقف من مواقف الحياة الإنسانية في الشريعة الإسلامية . ويقيم به العدالة الإجتماعية التي تنهض على اسسها السلام الإجتماعي . وفي البيان عن الإطمئنان إلى القانون ، إن هذه الوسيلة لتحقيق السلام في المجتمع هى طبيعة الشريعة الإسلامية . ويعرض سيد قطب في هذا الشان نموذج كثيرة عن الحوائج المختلفة بحكم الشريعة الإسلامية التي تلزم النفس البشرية في كل النشاط الإنساني وهي حاجة الجسد وحاجة الفكر وحاجة الروح في شعارها وشرائعها سواء .

وأما العنوان **"سلام العالم"** يبحث الكاتب الحاذق عن مصادر التي تتعلق على تأسيس سلام العالم . يبين فيه عن القوانين الأصولي بدلائل القرآنية . هذا العنوان مشتمل على ثلاثة أبحاث أولا عن الجهاد في سبيل الله ، وثانيا عن روح السماحة الإنسانية وثالثا عن العنصر الأخلاقي في المعاملات .

في البحث الأول يدقق سيد قطب حقائق الجهاد في سبيل الله مع بيان أهميته وتاكيده وفحويه وحاجته وعناصره وفضائله بالبراهن القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وفي البحث الثاني يفتش روح السماحة الإنسانية . ويبحث فيها كيف يربط الإسلام رابطة الإنسانية في العالم . ويضم القواعد الكلية في الإتحاد الإنسانية وكيف يواقف جميع الناس على سطر واحد ، ويجتنب الناس من الظلم والفساد وإزالة سلطة جائزة على الرعية وإقامة السكينة في نفوس الإنسان .

وفي البحث الثالث عن العنصر الأخلاقي في المعاملات. ويبين الكاتب في عن الأوصاف السيئة التي تحكمت فيها أوربا من عهود الغابة ، وشرائع الذئب ، والغدر والنفاق ، والخسة ونقض العهود وخيانة الدعوة وتفريق الإتفاق ووصف المعهدات ووحشية الحرب . وكذالك يبين عن الأوصاف الحميدة التي توجد في ضمان العناص الإقلي في المعاملات. أن الإسلام يقرر ربوبية الله وحده للعباد . ويتحرر الإنسان من إغلال وإعطاهم الحرية والنور والكرامة.

الفصل الثاني

دراسة الكتاب

إن للسلام العالمي شأناً عظيماً في الاسلام، فما كان أمراً شخصياً ولا هدفاً قومياً او وطنياً بل كان عالميا وشموليا، فالسلام هو الأصل الذي يجب أن يسود العلاقات بين الناس جميعاً، فالمولى عز وجل عندما خلق البشر لم يخلقهم ليتعادوا أو يتناحروا ويستعبد بعضهم بعضاً، وإنما خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا ويعين بعضهم بعضا، فالإسلام يدعو الى استقرار المسلمين واستقرار غيرهم ممن يعيشون على هذه الارض، ويكشف لنا التاريخ أن جميع الحضارات كانت تواقة من أجل تحقيق السلام العالمي.

السلام ضرورة حضارية طرحها الإسلام منذ قرون عديدة من الزمن باعتباره ضرورة لكل مناحي الحياة البشرية ابتداء من الفرد وانتهاءً بالعالم أجمع فبه يتأسس ويتطور المجتمع. وقد حان الوقت لنقف على عتبات المجتمع الدولي ونقود أجيالنا إلى لغة الحوار ونصرخ بصوت عال لا للحروب لا للإرهاب لا للقتل لا للدمار ولا للعنف.

ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول: العقيدة والحياة، سلام الضمير، سلام البيت، سلام المجتمع، وسلام العالم.الكتاب في مجمله العام جيد، فيما عدا فصل سلام البيت. بدأ سيد قطب بحديثه عن الزواج حديثا رقيقا وشدد على أهمية شرط الاستئذان والإيجاب والقبول الذي كان ومازال يتجاهله الكثيرللأسف. ثم بدأ حديثه عن الطلاق. وبدأت المشكلة. فهو تارة يصفه بأنه "صمام أمان" لسلام البيوت والمجتمع وتارة يشجب المعدلات المرتفعة للطلاق في أمريكا كعلامة على العواقب الوخيمة للاختلاط في المجتمع. وهنا لابد من وقفة بالعامية الحقيقة. ما هو يأما الطلاق صمام أمان ويتيح للأفراد تنظيم علاقاتهم

الأسرية بحرية دون شجب أو استهجان، يأما الطلاق هو الطامة الكبرى ووصمة العار - التي لا تحملها إلا المرأة وحدها في الغالب- والتي لابد من تجنبها بأي شكل من الأشكال. وأنا كان نفسي سيد قطب يطلع على أرشيف المحاكم الشرعية في القاهرة ودمشق وطرابلس أيام الدولة العثمانية، كان هيندهش الحقيقة. معدلات الطلاق والزواج مرة أخرى كانت مرتفعة عادي جدا وكانت الأمور تتم بسلاسة ويسر دون تعقيد أو شجب. كان هناك تقبل مجتمعي لهذا الأمر ولم يكن يعيب المرأة أو الرجل الطلاق أو الزواج أكثر من مرة. لم يكن هناك هذا الهوس "بالحفاظ" على الأسر مهما كانت التكلفة ولم يكن الطلاق علامة على تفسخ المجتمع ولا حاجة خالص. بالعكس، بحسب معلوماتي القليلة، هذه النظرة للطلاق لم تعرفها بلاد الاسلام إلا مع الاستعمار ثم تحدث عن موضوع المرأة للبيت والبيت للمرأة. وهنا لازم وقفة بالعامية مرة تانية معلش. يعني الرسول -صلى الله عليه وسلم- بايع النساء زي ما بايع الرجال. ولما وقفت امرأة تراجع عمر في موضوع الحد الأقصى للمهور مقلهاش "انتي ايه اللي جابك هنا اقعدي في البيت ربي العيال"، قال "اخطأ عمر" بس. ولم يكن هناك هذا الفصل التعسفي لتجنب "شرور" النساء وخلاص . يبدو لي أنه هناك مشكلة في فهم البعض للإسلام فيما يتعلق بهذا الموضوع الحقيقة. فيه حاجات محتاجة تتراجع ومحتاجين نقرا تاريخنا اكتر من كدة. فيا سيد يا قطب -عليك رحمة الله -قُل "أنا رجل غيور وماحبش مراتي تخرج من البيت" هذه وجهة نظر اتفهمها تماما وأحترمها كتفضيل شخصي، ولا تقُل "الاسلام قال كدة" الله يرضا عليك وعلينا.

و السماحة الإنسانية، عنصر مهم لإقرار السلام، تفقده كل الحضارات التي تُظل العالم اليوم، هذا العالم الذي تمزقه العصبيات الدينية، و العصبيات العنصرية، و العصبيات المذهبية، و يقف على شفا جرف هار بسبب تلك العصبيات الذميمة، التي تنقصها روح السماحة الإنسانية، و روح العدالة الحقيقية، و التي تنطلق، و في إثرها الأحقاد و الحزازات، و المطامع الإقتصادية و غير الإقتصادية، فتحيل الحياة البشرية جحيما في الحرب و جحيما في السلم، و تنشر فيه المجاعات و المخاوف؛ و تقف الأمم بعضها من بعض موقف الحذر الدائم و القلق الدائم ..... و مع هذا كله، تجد تلك

الحضارات البائسة معجبين و مدافعين. و هي تسوم البشرية شقاء بعد شقاء، و حربا بعد حرب، و بلاء بعد بلاء. لماذا؟ لأنها تملك تسخير الحديد و الكهرباء و البخار، و تملك صنع القنبلة الذرية و القنبلة الأيدروجينية و الأقمار الصناعية، و لا تملك ذره واحدة من ذرات المحبة و لا عنصرا واحدا من عناصر السماحة، و لا طاقة واحدة من طاقات الإنسانية. ألا انه المسخ الذي يصيب الروح البشرية في عصر الظلام الروحي و الانتكاس. و ما هنالك من بلسم يمس هذه الروح فيشفيها، و ما هنالك من شعاع يضيء ظلماتها و خوافيها، إلا أن يقود الإسلام البشرية مرة أخرى، فيردها إلى السماحة الإنسانية، و يحيل كشوفها و علومها أداة رحمة و حضارة و سلام".

إن الإسلام لم يأتي لكبت النزوات وإخمادها بل لتهذيبها إن حاجة الرجل للمرأة ليست محصورة كلها في الطعام بل ليست محصورة في مطالب الجسد وإنكانت لا يغني عنها المال ولا الطعام أو الشراب إن هنالك لحاجة نفسية عميقة في كيان كل إمرأة أن تجد رجلا إنها حاجتها إلى التكامل أعمق الحاجات.

لو لم يكتب سيد قطب رحمه الله سوى هذا الكتاب لكفاه ، كتاب يعطيك تصورا جديدا لمعنى السلام وستفهم من خلاله سبب هذه الحروب والنزاعات التي تسود العالم. هذا ليس مجرد كتاب وإنما هو دستور للسلام العالمي ، لم أكن أتوقع أن سيد قطب ينظر إلى السلام بهذه النظرة الشاملة الغير متوقعة ، بصراحة الكتاب أعطاني نظرة جديدة نحو السلام العالمي بعيدة عن تلك الرؤية الضيقة المتداولة. الكتاب يتناول السلام بشكل مفصل ينطلق من ضمير الفرد ، ثم ينتقل إلى السلام ذاخل البيت ليصعد إلى درجة أعلى وهي السلام في الجتمع قبل الوصول للحديث عن السلام العالمي، وكل هذا بذلك الأسلوب الجميل الذي تعرف به كتابات سيد قطب رحمه الله

يبحث الكاتب أولا في هذا الكتاب بعنوان : 'العقيدة والحياة ' . قد بين سيد في هذا المضمون كيفية حياة الدنيا . إن حياة الدنيا محدود لا مستقر لها ولا قيمة. ولكن حياة الدنيا يملك في لحظة أن يتصل بقوة الموت والبرزخ ويوم القيامة إلى الجنة او النار . وأن يحس الوجود في الماضي ، والاستقرار في الحاضر ، والامتداد في الآتي . هذه وظيفة العقيدة الدينية . العقيدة تأثرت في النفس والحياة ، العقيدة الدينية تحل مشاكل الإجتماعية

والإنسانية والعالمية . للعقيدة الدينية تلزم قوة الدافع الفطري العميق. الإيمان يسدها جوعة فطرية كجوعة الجسد إلى الطعام والشراب وسائر الحوائج.

يوازن سيد قطب بين العقيدة الخامدة والعقيدة الدينية، العقيدة الخامدة تأتي الخوارق في حياة الفرد والجماعة ، والعقيدة الدينية تصور كلي شامل يربط الإنسان بقوي الكون الظاهرة والخافية ويثبت روحه بالثقة والطمانية ، ويمنحه القدرة علي مواجهة القوي الزائلة الأوضاع الباطلة ، بقوة اليقين في النصر ، وقوة الثقة في الله . وهي العقيدة تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء.

ويتأمل سيد قطب بعقيدة الضخمة عن جهالة أو عن غرض ، أنها لا تسعفنا بالحلول العملية المحددة لمواجهة الحياة العصرية ومشكلاتها . وبخاصة في الحقل الاجتماعي والحقل الدولي . فأما الحقل الإجتماعي فقد صدرت في عدة مؤلفات تكشف عن الحلول العملية التي يملك الإسلام أن يواجه بها الحياة ، وقد تذاوبت معظم الإعتراضات التي كان يبديها طلاب العدالة الإجتماعية ، ورأوا أن الإسلام يملك أن يحقق عدالة أشمل وأطمل من كل ما تملك تحقيقه جميع المذاهب الإجتماعية الأخري.

وأما الحقل الدولي ، فيقر سيد قطب أن مشكلة السلام العالمي التي تواجهها البشرية جميعا ، ويواجهها ضمنا ، فسأل نفسه هل للإسلام فيها رأي ؟ ولها عنده حل ؟ فأجاب سيد أن هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية علي الأسئلة المذكورة.

فيذكر سيد قطب طبيعة السلام في الإسلام. لأن فكرة السلام تتصل اتصالا وثيقا بطبيعته، وفكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان . فحاول الكاتب أن يجمع بها في هذا الكتاب قبل أن يتحدث عن طبيعة السلام في الإسلام. لأن الإسلام دين الوحدة الكبري في هذا الكون الكبير . الوحدة بين جزئياته جميعا : من الذرة المفردة إلى أرقي طبقات الحياة المركبة. والوحدة بين مفراداته جميعا : من الجماد إلى النبات ، إلى الحيوان المتحرك إلى الإنسان الناطق. والوحدة بين نشاطه جميعا : من دورة الأفلاق والكواكب إلى جولة الأفكار والأرواح . والوحدة بين اتجاهاته جميعا : من استجابة الأفلاق للناموس إلى استجابة الأرواح للمعرفة والهداية . والوحدة بين طاقاته جميعا : من جوعة الجسد

للضرورات ، إلي هتاف الروح بالأشواق. ثم والوحدة بين فيه جميعا : وبين بدئه منتهاه، وبين أرضه وسمائه، وبين آخرته ودنياه.

تحدث سيد في الخطوة الأولى عن توحيد الإلهي :

فوضع دليلا من الآيات القرآنية في سورة الإخلاص

" قل : هو الله أحد- الله الصمد- لم يلد- ولم يولد- ولم يكن له كفوا أحد " [1]

يثبت الكاتب بهذه الآيات كل أسباب الفرقة والخلاف في مصدر الكون الأول . ويرفع أسباب الفساد والصدام في صميم الناموس . فوحدة الإله الخالق تنفي عن ناموس الكون تعدد التصميم والنظام . وذالك مصداق ما يقول الله تعالى في القرآن :

" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" [2]

يصدر الكون بإرادة الله بطريق واحد : كما قال الله :

"إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون " [3]

فهذه دلائل قدرة الله الكاملة في ذاته وصفاته وإرادته . وكذالك أدل في نظام الكون والحياة كلها والأحياء : "الذي خلق سبع سموات طباقا . ما تري في خلق الرحمن من تفاوت . فارجع البصر هل تري من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير" [4].

أله ملك كل شيء والكون كله يتوجه إليه جملة وأفرادا في الدنيا والآخرة ، في العمل والصلاة ، في المحيا والممات فأتي في هذا المجال آيات القرآنية دليلا :

---

[1]) سورة الإخلاص : 1-4
[2]) سورة الأنبياء : ٢٢
[3]) سورة يس : ٨٢
[4]) سورة الملك : 3-4

" تبارك الذي بيده الملك و هو علي كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبوكم أيكم أحسن عملا" [5]

. "تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم " [6].

"وما خلت الجن والإنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون"[7].

في إثبات هذا الكون المتفرق الأجزاء ، المتعدد الأشكال المتنوع الأحجام يرجع إليى أصل واحد و إلى طبيعة واحدة .

"أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا فـفتقناهما" [8].

ويثبت لصفة التقاطع والتناثر صفة التوحد والتناسق ، في طبيعة التكوين ، وفي صميم الناموس ، وفي نظام الحركة سواء :

"والشمس تجري لمستقر لها . ذالك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون "[9].

في هذا الكون وفي الله تعالى بحاجاتها وحاجات الأحياء وأن يحرسها من التحطيم والهلاك والفناء . فادل سيد بآيات الآتية :

"جعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها "[10].

"وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم "[11] "والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان" [12]

---

[5]) سورة الملك : ١-٢
[6]) سورة الإسراء : 44
[7]) سورة الزاريات : 56-57
[8]) سورة الأنبياء : ٣٠
[9]) سورة يس : 37- 40
[10]) سورة فصّلت : ١٠

"هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه "[13]

وهذه السماء قد روعي في تصميمها مقتضيات الحياة :

فقال الله تعالى "وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح"[14] "ويمسك السماء أنتقع علي الأرض إلا بإذنه "[15] لرياح في خدمة الحياة فقال الله تعالى : "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا" [16]

والحياة الناضة في هذه الأرض خرجت من أصل واحد وتحتوي كلها على هذا العنصر الواحد ، عنصر الماء الذي هو الأصل للأحياء فقال الله تعالى في هذا الشان : "وجعلنا من الماء كل شيء حي "[17] وآتي خاصية التزاوج فقال الله تعالى : "سبحان الذي خلق الأزواج كلها : مما نتبت الأرض ومن أنفسهم أزواج"[18] وقال ايضا : "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون "[19] وتشترك في تنظيم جماعي واحد : "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" [20].

يقول الكاتب الإنسان أرقي نماذج الحياة ، خلق الإنسان من مادة الكون ، كما قال الله تعالى : "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين "[21] فأشهد سيد في خلق الإنسان أن الله كيف خلق الإنسان من نفس واحدة ، كما قال الله تعالى : " يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا أو نساء" [22]

يشير الكاتب إلى رسالة النبيين، المؤمنون برسالة أمة واحدة ، أثبت بآيات القرآنية : "شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسي

---

[11]) سورة النحل : ١٥
[12]سورة الرحمان :١٠-١٢
[13]) سورة الملك : ١٥
[14]) سورة الملك : ١٢
[15]) سورة الحج :65
[16]) سورة الروم :48
[17]) سورة الأنبياء : ٣٠
[18]) سورة يس : 36
[19]) سورة الزاريات : 49
[20]) سورة الأنعام : ٣٨
[21]) سورة المؤمنون : ١٢
[22]) سورة النساء : ١

وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "[23] "قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون"[24]. بذالك يزيل كل أسباب النزاع الدينية بين المؤمنين بدين الله الحق .

من أجل ذالك واضح سيد قطب استمداد طبيعة السلام في الإسلام ، عرّف لفظ السلام كما يلي :

السلام هو القاعدة الدائمة ، والحرب هي الإستثناء الذي يقتضيه الخروج عن هذا التناسق الممثل في دين الله الواحد ، بالبغي والظلم ، او بالفساد تعبيد العباد لغير الله ، فترده الحروب الموقوتة إلى التناسق الدائم والصلاح الواجب :

"حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" [25].

تصور سيد صورا واضحة أن الإسلام ينفي أسباب الحروب تثير في الأرض ،

الأولى : أثر القومية العنصرية وهو يقرر أن الناس كلهم من أصل واحد . وأنهم خلقوا كلهم من نفس واحدة ، وأنهم جعلوا شعوبا وقبائل ليتعارفوا .

الثانية : أثر المطامح والمنافع : حروب الإستعمار والإستقلال . فلا مكان فيه لهذه الحروب وهو يعد البشرية كلها وحدة متعاونة . الإسلام يأمر بالتعاون على البر والتقوي لا على الإثم والعدوان ، وهو يحرم السلب والنهب والغضب ، يعد البشر العالم ، لا فارق بين جنس أو لون أو عقيدة في الإستمتاع الكامل بعدل الله في طل شريعة الله ، في النظام الذي قرره الله .

الثالثة : أثر الحروب حب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال أو حب المغانم ، في هذا المجال اتي مثالا من الحديث الشريف : "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

---

[23]) سورة الشوري : ١٣
[24]) سورة البقرة : 136
[25]) سورة الأفال : ٣٩

: '" الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليري . فمن في سبيل الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ؟"[26].

يفسر الكاتب لفظ كلمة الله ـ التي قررها الله في كلامه المجيد "حتي لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله" [27] ولا يكون الدين كله لله إلا عند إفراد الله ـ بالألوهية والربوبية والعبادة والطاعة والدينونة . لقد جاء الإسلام إلى هذه الإنسانية كلها ، فمن تحيقي كلمة الله أن يصل هذا الخير جاء الإسلام به إلى الناس جميعا ، والأ يحول بينهم وبينه حائل . فمن وقف في طريق هذا الخير أن يصل إلى الناس كافة . وحقيقة الكلمة هي إعراض من نواه الله وأطاعة أوامر الله على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لمنحهم حرية المعرفة وخيرة الهداية . الإسلام لا يكره أحدا على إعتناقه : "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " فمقصد كلمة الله أن يحقق العدالة في الأرض ، ويقيم القسط بين البشر عامة . العدالة بكل أنواعها : العدالة الإجتماعية ، والعدالة القانونية والعدالة الدولية ، فمن بغي وظلم وجانب العدل فقد خالف عن كلمة الله ، وعلى المسلمين أن يقاتلوا لأعلاء كلمة الله ، يجب عل المسلمين أن تعلو في كل حال وفي كل مكان :

"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتل التي تبغيي حتي تفيء إلى أمرالله ، فان فأت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين "[28].

هكذا سيد قطب يضع الدلائل من آيات القرآنية على وجوب الجهاد .

لهذه الأغراض العليا وحدها يعظم الإسلام الجهاد بالسيف ويعد المجاهدين أعلى درجات الشهادة والجزاء كما قال الله تعالى : "إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم

---

[26]) أخرجه الخمسة
[27]) سورة البقرة : ١٩٣
[28]) سورة الحجرات : ٩

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه في التورات والإنجيل والقرآن "[29].

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ـ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين [30]".

يشير سيد قطب إلى أهمية الدعوة إلى السلم بآيات القرآنية . "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم "[31]. وبحث عن الإسلام هو آخر رسالة الله إلى البشر سماه في القرآن " الدين " الذي جاء بقوعدده الأساسية كل رسول : "إن الدين عند الله الإسلام "[32]. "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه "[33]. "فكل نبي جاء ليأمر الناس بعبادة الله الواحد دون شريك " . الإسلام لله بغير تردد كما قال الله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي عليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" [34]. ثم جاء محمد بهذا الدين .

"مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه "[35]. محمد صلى الله عليه وسلم ختم النبيين لا نبي بعده .

يبحث سيد قطب لأجل الدين الإسلام الذي تقف الطغاة عن البغي والعدوان ، وتحفظ على الآمنين أمنهم وسلامتهم ، وتعز كلمة الله عن الإستخفاف والهوان وتقر سلطان الله في الأرض . ذالك فكرة السلام في الإسلام : السلم قاعدة والحرب ضرورة . ضرورة لتقرير سلطان في الأرض ليتحرر الناس من العبودية لغير الله . وضرورة لدفع

---

[29]) سورة التوبة : ١١١
[30]) : سورة آلعمران : 169-171
[31]) سورة محمد : 35
[32]) سورة آل عمران : ١٩
[33]) سورة آل عمران : 85
[34]) سورة الأنبياء : ٢٥
[35]) سورة المائدة :48

البغي من البغاة وتحقيق كلمةالله وعدل الله . وضرورة لتحقيق خير البشرية ، لا خير أمة ولا خير جنس ولا خير فرد ، وضرورة لتأمين الناس من الضغط ، وتأمينهم من الخوف ، وتأمينهم من الظلم ، وتأمينهم من الضر وضرورة لتحقيق العدل المطلق في الأرض . الواقعات الإسلام التاريخية تثبت هذه المبادئ النظرية . فبين سيد فيه أوصاف النبي صلي الله عليه وسلم داعيا ورسولا ومبلغا ومصلحا ومرشدا وبشيرا ونذيرا . فأدى النبي ذمته كافة للناس . وأثبت ثبوتا من آيات القرآنية .-

يشير سيد قطب إلى حكاية الإذن بالقتل فلما قويت الشوكت ، واشتد الجناح أذن لهم في القتال فأثبت فيه بآيات القرآنية ، ثم بحث عن كتابة رسول الله صلى الله عليه زسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم ، وأشترط عليهم ، فلم يقاتل منهم الإ الذين نقضوا عهودهم ، تأمروا على المسلمين مع أعدائهم . وذكر إشارة إلى نقض عهود بني قريضة ، وشارك الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق كواقعة في غزوة بني النضير وغزوة بني قينقاع كما صرح الله هذه الواقعة في القرآن الكريم : " ان شرّ الدّواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون .فإما تثقفنّهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون " [36].

لقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ـ التي سبق لها الإعتداء على سلطان الله بالشرك ثم اعتداد على المسلمين الذين خلعوا عنهم ربقة الشرك وكانت هذه المعركات دفاعا عن ربوبية الله ودفاعا عن عباده .

يلتفت الكاتب إلى بيان المعاهدات هدنة الحديبية التي عقدها رسول الله صلي الله عليه وسلم مع قريش وقد اصطلح الفريقان علي وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وعلي أنه من أتي محمدا ـ من قريش بغير إذن وليه ، رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردواه عليه ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده ، دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل

---

[36]) سورة الأنفال : ٥٥-٥٧

فيه. وبناء علي ذالك تحالف بنو بكر مع قريش ، وتحالفت خزاعة مع محمد . وقد كانت قبيلة خزاعة حليفة في الجاهلية لعبد المطلب جد محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاهدة ، ولكنه زاد فيها شرطين فيما يكون التعاون والنصر ، كي تتفق مع مباديء الإسلام الأساسية . وكان هذان شرطان : ألا يعين خزاعة إذا كانوا ظالمين ، و أن ينصر خزاعة إذا ظلموا .

فيصور سيد قطب تصويرا عن حلف الفضول الذي كان معقودا في الجاهلية . وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول ، وكان أكرم حلف سلع به ، وأشرفه في العرب ، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل أحد أشراف قريش ، فحبس عنه حقه . فاستعدي عليه الزبيدي أشراف قريش ، فأبوا أن يعينوا علي العاص بن وائل لمكانته ، وإنتهروه واستغاث الزبيدي أهل مكة ، واستعان بكل ذي مروءة .

وهاجت الغيرة في رجال من ذوي المروءة والفتوة ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله ، ليكونن يدا واحدة مع المظلوم علي الظالم ، حتي يؤدي إليه حقه ، فسمت العرب ذالك الحفلف " حلف الفضول "، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ، ثم مشوا إلي العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه .

وكان رسول الله مغتبطا بهذا الحلف ، متمسكا به ، حتي بعد البعثة يقول : " لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول علي أهلها ، وأن لا يعز ظالم مظلوما [37].

وكان من حكمة الله تعالى وتربيته أن نشأ رسو ل الله صلي الله عليه وسلم أميا ، لا يقرأ ولا يكتب , فكان أبعد عن تهمة الأعداء وظنة المفترين ، وإلى ذالك أشار القرآن بقوله :

---

[37]) سيد أبو الحسن علي الندوي : قصص النبيين للأطفال : الجزء الخامس، ص ، 24

" وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"

يقول سيد قطب أخيرا في هذا المضمون أن طبيعة السلام في الإسلام مضمونا طويلا حتي نشير إلي المجال الذي يعمل في الإسلام . إن الإسلام في طبيعته الكلية في النظرة إلي الحياة ، ويحاول تحقيق السلام في كل حقل ، ويربط بينه وبين النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان . وبذالك تصبح كلمة ''السلام'' التي يعنيها الإسلام ذات دلالة أعمق وأشمل من معناه الذي تتعارف عليه الدول في هذه الأيام . فهو السلام الذي يحقق كلمة الله في الأرض من الحرية والعدل والأمن لجميع الناس ،

نظرية سيد أن الإسلام يبدأ محاولة السلام أولا في ضمير الفرد ، ثم في محيط الأسرة ، ثم في وسط الجماعة . وأخيرا يحاول في الميدان الدولي بين الأمم الشعوب . أنه ينشد السلام في علاقة الفرد بربه ، وفي علاقة الفرد بنفسه ، وفي علاقة الفرد بالجماعة . ثم ينشده في علاقة الطائفة بالطوائف ، وعلاقة الأفراد بالحكومات . ثم ينشده في علاقة الدولة بالدول بعد تلك الخطوات .

"سلام الضمير" :

يحتوي الكاتب هذه المقالة علي ستة أبحاث ، البحث الأول عن المنطق والعقيدة والمبحث الثاني في الأشواق والضرورات والمبحث الثالث في الخطيئة والتوبة والمبحث الرابع في التكليف والطاقة والمبحث الخامس في الإطمئنان إلى الله والمبحث السادس في الضمانات والتأمينات .

يقدم سيد قطب أولا في الإسلام للإنسان قيمة أساسية ، يغرس الإسلام بذرة السلام في نفس الفرد . السلام الإيجابي يرفع الحياة وينميها ، السلام الذي يعترف للفرد بوجوده وبنوازعه وبأشواقه ، ويعترف في الوفت ذاته بالجماعة ومصالحها وأهدافها ، وبالإنسانية وحاجاتها وأشواقها ، وبالدين والخلق والمثل كلها في توافق واتساق .

يضح الكاتب في البحث الأول عن المنطق والعقيدة ، المنطق في اللغة علم يعصم الذهن من الخطاء في الفكر أو يفكر تفكيرا مستقيما . ومعني العقيدة الحكم الذي لا يقبل

الشك فيه لدي معتقده . و في الدين : ما يقصد به الإعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل [38].

يفكر الإسلام السلام بين المنطق الإنساني والعقيدة الدينية منذ إشاعة الإسلام أولا . بيّن سيد عقيدة وجود الله وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الله خالق كل شيء ، لا شريك له في ذاته وصفاته قدرته وعظمته شيئا . ليس الله واحدا في الثلاثة ولا ثلاثة في واحد وليس والدا ولا مولودا ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر ,أرسل الله أن يهدي الناس إلى عبادة الله . وعند الله دين واحد هو دين الإسلام في أمور الدنيا والآخرة . ما كان محمد بشرا والها ، وما كان رسولا في الأرض وربا في السماء .

يوجد فى المبحث الثانى عن الأشواق والضرورات فمعنى الشوق نزوع النفس إلى الشىء ، شاق ـيشوق من باب نصر ـ ينصر ، جمعه الأشواق ، ومعنى الضرورات الحاجة ، او كل ما تمس إليه الحاجة ،

يوضح الكاتب أهمية الضرورات والأشواق فى الإسلام . إعترف الإسلام بضرورات الحياة فى طبيعة البشر . الإسلام يدعو إلى التطهر النفس وأن يملك الإنسان قياد نفسه فلا يكون عبدا مملوكا لشهواته . فأدل بدليل القرآن فى مجال الإرادة بموازنة بين نصيب المؤمن والكافر أما نصيب المؤمنين يتلقونها من يدالله فى جنات ، بجزاء على الإيمان ، والصلاح ، وأما نصيب الذين كافروا متاع وأكل وهو تصوير زرى ، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه ، والمتاع الحوانى الغليظ بلا نذوق ، وبلا تعفف عن جميل او قبيح ، انه المتاع الذي لا ضابظ له من إرادة ولا من إختيار ولا حارس عليه من تقوى ولا رادع عليه من ضمير ،

الحيوانية تتحقق فا المتاع والأكل ، المقصود هناك حساسية الإنسان الذى يملك نفسه وإرادته ، والذى له قيم خاصة للحياة ، فهو يختار الطبيب عند الله ، عن إرادة لا

---

[38]) (ج) عقائد . ذوالفقار على : المعجم الوسيط: ص/ 614 ، 2001)

يخضعها ضغط الشهوة ، لا تحسب الحياة كلها مائدة طعام وفرصة متاع بلا هدف بعد ذالك .

يوجد منها الفرق بين الإنسان والحيوان ان للإنسان إرادة وهدفا وتصورا خاصا للحياة يقوم على اصولها الصحيحة [39].

ينبه الله عن صورة الإعتدال، برئ من الفواحش، والحرمان ، فاثبت سيد قطب فى هذا المضمون بآيات القرآنية فمفهوم الآية الإجازة لكل إنسان ان يأخذ زينة عند كل وقت الصلاة وإختار الإعتدال فى الأكل والشرب ، فلا بأس أن زينة الله من الرزق للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم القيامة ، وحرم الله أمور الفواحشة من الظهر والسر والإثم والبغى شأن الإشراك بالله كلها مفسد للفطرة ومنفى للعدالة .

أنها ترتبط بالعقيدة والشريعة بأسباب شتى:

إنها تتعلق قبل كل شيء بالربوبية , وتحديد الجهة التي تشرع للناس في هذه الأمور ,ذات التأثير العميق في الأخلاق والاقتصاد وشتى جوانب الحياة. كذلك تتعلق بإبراز خصائص" الإنسان "في الجنس البشري , وتغليب الطابع" الإنساني "في هذا الجنس عل ى الطابع الحيواني. والجاهلية تمسخ التصورات والأذواق والقيم والأخلاق . وتجعل العري - الحيواني - تقدماً ورقيًا . والستر الإنساني - تأخرًا ورجعية ! وليس بعد ذلك مسخ لفطرة الإنسان وخصائص الإنسان .

وكذالك يبيّن المعالجة الإسلامية فى العقد النفسية لا وجود لأسبابها فى جو العقيدة الإسلامية . لاتى تعترف برغبات الفرد وضروراته . وهذه الرغبات الطبيعية البريئة . رغبات المرأة فى المتاع والزينة . خاتم الذهب ولباس الحرير مباح للمرأة ولكن منهى للرجال كل ما يحرمه على المأة فى هذا المجال هو التبرج ،

وفى المبحث الثالث يذكر المؤلف عن أسباب السلام فى الضمير هى الخطيئة والتوبة . الخطاء طبيعة للبشر . الخطأ فى اللغة تعمّد الذنب ، اول الناس هو آدم (عـ) أخطأ اولا . فتح الله باب التوبة فى كل لحظة . ومعنى التوبة فى اللغة رجع عن المعصية .

---

[39]) قطب، سيد: فى ظلا ل القرآن : سورة محمد

فهو تائب ، وفى الإصطلاح التوبة الإعتراف والندم والإقلاع ، والعزم على الا يعاود الإنسان ما إقترفه . والعبد تائب (المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية : ص ـ 90) اذا أخطأ الناس وتاب فيمح الله خطاءهم . والله لا يحمل المذنبين ذنب أبدى ولكن لا يقبل التوبة الذى يقتل نفسه ، أو يعذب جسده ، أو ترتكس روحه فى أجسام قذرة رديئة حقبا . الله لا يحتاج أن يعذب عبده لتطهرهم . أذا يتوجه العبد إلى ربه نادما او تائبا فيفتح الله بابه وينزل منحه ورحمته و عفوه . جاء النبى صلعم حديثا مباشرا :

"كل بنى آدم خطأ وخير الخاطئين التوابون" [40]

يشير الكاتب إلى قصة آدم عـ وكيف وسوس الشيطان آدم وزوجته حواء والكفالة على نفسه الرقابة وتحذير خدعة الشهوات المحرمة، وفتنة النساء والأموال والأولاد كل صور عدو الشيطان حريصا على حصول هذه الأشياء . ثم بين بعض المخلوق وأغراض خلقهن كما بين الله فى القرآن الكريم . وتوازن بين حسن الدنيا وجمال الآخرة . فخلق الله أشياء مختلفة مزينة منها النساء وأوصافها الحميدة والسيئة ، والأولاد والقنطار والفرس والناقة والبقرة والغنم والشأة والحرث . هذه الأشياء تفيد فى حياة الدنيا لا تبقى الخالدة ولكن أعد الله نعما كثيرة للمتقين فى جنات تجرى من تحتها أنهار الشهد واللبن والشربة والماء الخالص وأزواج مطهرة ورضوان الله . فنبّه الله أبناء آدم وحواء ألا يستسلموا للإغراء والإغواء . أذا أخرج آدم وزوجته من الجنة فتكلم آدم من ربه واستغفر وتاب فغفرالله ذنوبهما ، وكذالك أعلن الله صفته الغفر عند الخطاء بنى آدم واستغفروا فيغفرالله خطاءهم .

ويختتم كلام سيد قطب على هذا المضمون ببيان أصول رحمة الله وعفوه بعد الخطاء . وتوجد أن الإسلام يمنح ضمائرهم السلام ، ويهب أرواحهم الإطمئنان ، ولقد عرف الإسلام فى واقعه التاريخي رجالا فبلغت يقظة ضمائرهم حد الإرهاب ، ولكن أرواحهم كانت فى ذروة الإطمئنان ، وكانواهم من الواقعيين العمليين المنشئين كأعظم ما يكون الرجل الواقعي العملي المنشيء فى الحياة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا أبو بكر وعمر ومنشئـا الإسلام وكافلاه بعد رسول الله .

---

[40]) رواه ترمذى

المبحث الرابع في التكليف والطاقة يهتم الإسلام عن علاقات التكليف والطاقة فى سلام الضمير. لهما صور كثيرة فذكر سيد ثلاث نتائج التكليف فوق الطاقة . الأولى الظلم والعسر ، والحرمان والكبت ومنع الحياة عن التطوع والترقى المعتدل والثانى فبيّن النفور والجماح والخروج على الأوامر والنواهى . يقود العداء إلى الغلو فى الإباحة والكراهة فى فعل الكبت والارهاق . والثالث القلق النفسي الدائم والشعور دائما بالخطيئة . قرر الإسلام لا تكاليف إلا فى حدود الطاقة . يقسم أحكام الله على قسمان الإختياري واللازمي فحكم اللازم فرض الله أحكامه على حسب الطبيعة البشرية ثم يدع لها أن تتطوع بالأكثر فوق التكاليف المفروضة ، ان استطاعت ، بغير ضيق ولا حرج ولا مشقة . فأثبت سيد هذه النظرية بالآية القرآنية والأحاديث النبوية . الإسلام يدعو إلى السماحة والرفق والبشاشة . أن مشاعر الغضب والغيظ مشاعر طبيعية ، فرغّب الإسلام على الصبر والغفر والكاظمين الغيظ . الإسلام يكره الضغينة وينفر من الحقد . بين هناك اوصاف المؤمن ، المؤمن يمشى على الأرض سكينة و تواضعا ولا يتكبر ولا يتجبر ولا يفسد ولا يظلم . ويعرض عن اللغو وإذا خاطبه الجاهل يقول سلاما . يبيت الليل فى العبادة وإطاعته ويستغفر الله فى الصبح ويخاف فى القلب ويرجو رحمة الله ويدعو الله أن يبعده من عذاب جهنم . الإسلام يكره الخصومة بين المسلمين . إذا خاصم المسلمان لا يحل لمسلم أن يهجر فوق ثلاث ليال ، عند اللقاء خيرهما الذى يبدأ بالسلام . يبلو الله عباده بإعطاء الكروب ، وأحيانا بإعطاء الخير والترقى ، وخوف الله ، وجوع الصوم ، وآداء الزكاة ، والمرض والأولاد . المؤمن يصبر على كل أحوال المذكورة . وبشّره الله رحمته والهداية . هكذا لا يكلف الإسلام نفسا إلا طاقتها [41].

المبحث الخامس في الإطمئنان إلى الله . ويبحث الكاتب أولا مصادير الاطمئنان فى النفس هو السكينة والأمن والسلام . العلاقة بين الله والعبد مباشرة . لا يعتقد أقوال الكاهن والقسيس لا تتعلق بارادة مخلوق فى الأرض ولا فى السماء . أشار سيد قوله إلى حوائج المخلوق ، الله يكمل كل الحوائج الدنيا والأخرة . يحصل العباد أعلى درجة فى الدنيا وهى

---

[41]) التفسير ابن كثير : سورة البقرة ، آية :١٥٥

درجة العبادة ومحمد صلعم إمام لهذا المقام . الدعاء جوهر العبادة . لان النبى صلعم لقّن أمته أن يتخذ الدعاء ثروة روحانية فى أوقات مختلفة . فالكاتب قدّم الأدلة بالآيات القرآنية مفهومها أن الإنسان لا يقدر أن يصيب أحدا نفعا او ضرا إلا مشية الله . فكل قوى الأرض لا تقدر على ذبابه . فى مجال هذه القوة الفرد يعتمد على الله على رزقه ومكانته ، أمنه على حياته وسلامته ، فأوصف الكاتب الله صفة كاملة على قدرته و ملكيته . الله مالك الملك والعزة والخير إعطاء الرزق والأذى علمه محيط بالكائنات . فذكر سيد فضائل الجهاد فى سبيل الله . وكرّم الله بنى آدم وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الحلال وفضّلهم وهو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

وبذالك كله تطمئن النفس وتسكن وتثق ، فلا تهزها الأحداث ، ولا تذهب بها الأهوال . ولا تفزع من شيء ولا تخاف :

"الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القولب "[42].

والمبحث السادس في الضمانات والتأمينات . معنى الضمان فى اللغة الكفالة والالتزام وفى الإصطلاحى وثيقة يضمن بها الرجل صاحبه ، ومعنى التأمين فى اللغة الوديعة وفى الإصطلاحى التأمين : عقد يلتزم أحد طرفيه ، وهو المؤمن ، قبل الطرف الآخر ، أداء ما يتفق عليه عند تحقق شرط او حلول أجل فى نظير مقابل نقدى معلوم [43].

يبحث سيد قطب على هذا المضمون أن الإسلام يؤمّن الفرد على كل موقف من مواقف الحياة . السلطان راع على رعيته ، الحاكم ضامن على العامل ، والوالد على الأولاد ، والزوج على الزوجة .

يقرر الأسلام الحقوق الإنسانية وهى خمسة :

1. تحفظ النفس
2. تحفظ المال
3. تحفظ العزة
4. تحفظ المعاش
5. تحفظ العقائد

---

[42]) سورة الرعد ـ ٢٨

فيحتج المؤلف بدلائل القرآنية والأحاديث النبوية يعرض أن الإسلام عن التجسس والسخرية وإغتيابة والظن السوء وتنابز بالألقاب والدخول فى دار المسلم بغير الإذن. بمثل هذه الضمانات يكفل الإسلام للفرد طمأنينته . قد ذكر سيد واقعات تاريخية حينما كان يحكم بين خليفة وبين فرد من عامة المسلمين فى القصاص كمحمد رسول الله كان يقيد من نفسه ، وعمرو بن الخطاب يدع ابن المضرى من عامة الشعب يضرب ابن عمرو ابن العاص حاكم مصر حتى يرضى، وعلى بن أبى طالب يخاصم نصرانيا سرق درعه إلى قاضيه شريح ، فيحكم القاضي ضده لانه لا يملك بينة على السارق ، فيبتسم الخليفة ويرضى .

"سلام البيت":

توجد أن سيد قطب قدم أولا كلاما مختصرا عن تعريف البيت ، يقول قطب سيد البيت مثابة وسكن ، الطفولة بدأت من البيت ، ووقعت حوادث كثيرة على مسرح المجتمع . الفرد يستمتع فى بيته بالسلام . لهذا الإسلام يتجه إلى بذر بذور السلام فى البيت .

يحتوي الكاتب هذه المقالة علي ستة أبحاث ، البحث الأول الرباط المقدس والمبحث الثاني في الإختلاط والتبرج والمبحث الثالث فى الحدود والمبحث الرابع في الطلاق والمبحث الخامس في تعدد الزوجات والمبحث السادس في التكافل العائلي .

البحث الأول الرباط المقدس ، توجد فيه تصوير العلاقات البيتة تصويرا واضحا . منها فى الأصل الزوج والزوجة كلاهما صاحبى البيت . السكن والقرار والمؤدة والرحمة والستر والتجمل لزومات لإقامة السلام فى البيت . هذه الأوصاف تتعلق مع الزوج والزوجة . على حسب طبيعة الإسلام الكلية ، يحيط الإسلام هذه المثابة ، يتبعها التنطيمات القانونية ، والضمانات التشريعية منها :

(1) لا تزوج المرأة بغير إذنها ورضاها .
(2) لا بد من علانية وإشهاد ، لا يتم فى السر كما تتم الجريمة ، لا بد من إيجاب وقبول صريحين يشهد عليهما الشهود .

---

[43]) المجمع اللغة العربية ـ ٢٨

(3) فاذا نوى أو صرح بأن يكون هذا الزواج موقوتا بزمن لم ينعقد ، لأن هذا الإرتبتط مقصود به السكن والإستقرار ،

لأن يوجب الإسلام على الرجل النفقة وجعلها فريضة ، كى يتاح للأم من الجهد ومن الوقت . فالأم المكدودة بالعمل للكسب وإرهقت بمقتضيات العمل .وهى تقضى وقتها وجهدها وطاقتها الروحية فى العمل لن تطلق فى جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال . ثم أشار إلى واجبات الرجال ، جعل الإسلام القوامة فيه للرجل . يأمر الرسول للرجال أن يؤمروا عليهم أحدهم حتى لو خرج ثلاثة فى أمر فأحدهم أمير . هذا النظام قصد به الإسلام أن يكون حلقة من حلقات السلام فى البت ، وضمانة للإستقرار فيه .

والمبحث الثاني في الإختلاط والتبرج . معنى الإختلاط لغة أفسد أى أفسد الطيب بالخبيث . ومعنى التبرج لغة التزين وأظهر وفى الشريعة المرأة التى أظهرت زينتها ومحاسنها لغير زوجها [44]. إستعرض الكاتب نظام الحجاب فى الإسلام وأهميته بالدلائل آيات القرآنية ـ وصرح القانون الإسلام بها . نهي الله لأمهات المؤمنين فى عهد الرسول ونساء المؤمنين عن التبرج الجاهلية وتحرج من الإختلاط و تزين محاسنها لغير زوجها . يجب على المؤمنين أن يغضوا أبصارهم من رؤية غير المحرم ويحفظوا فروجهم من الزنا . النظر بالأبصار هو زنا العين ، والتكلم زنا اللسان والسمع زنا الأذن والأخذ زنا اليدين والمشى زنا الرجل . والتمنى السوء زنا القلب. لان إذا تحرج من هذه الفواحش يأتى سلام فى البيت . وأمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجتهن أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة [45]. يجوز للنساء المؤمنين أن يظهرن زينتهن على الزوج والأب وأبو الزوج والإبن وإبن الزوج والأخ وإبن الأخ وإبن الأخت والإمرأة والغلام والأمة والغلام الذى لا يهوى النساء والطفل الذى لا يعلم عورات النساء ،

---

[44]) مجمع اللغة العربية .
[45]) حياء اور باكدامنى : ذوالفقار أحمد نقشبندى ، ص ، ١٠٢

يقول سيد قطب بعد الملاحظة عن أهمية الحجاب وإختلاط النساء بالرجال والفائدة والنقصان فيهما :

''هذه يهدمه الواقع ، واقع الإنحرافات الدائمة والتحولات المستمرة فى العواطف ، وتحطيم البيوت بالطلاق وغير الطلاق ، وإنتشار الخيانات الزوجية المزدوجة فى تلك المجتمعات ''

ينعكس سيد قطب تصويرا فى هذا المضمون عن كيفيات إختلاط النساء بالرجال فى الأمريكا . فى الأمريكا لا سلام فى البيت لانهم يدعون الإنسانية فى الفاحشة . وإرتكاس فى البهيمية ، وإنتكاثها مثل الحيوان كما بين فى الآتى :

''فأما خرافة التهذيب والتصريف النظيف باللقاء وبالحديث فليسألوا عنها نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية ، وقد بلغت فى إحدى المدن 48 من المأئة . وأما البيوت السعيدة بعد زواج الإختلاط المطلق والإختبار الكامل فليسألوا عنها نسبة البيوت المحطمة بالطلاق فى أمريكا ، وهى تقفز فتة بعد فترة كلما ازداد الإختلاط وكلما تم الإختبار''

فألقى سيد أخيرا نظرياته على ضوء الإسلام . الإسلام يشير بالحشمة ، ويتحرج من الإختلاط ، ويأمر بغض الأبصار ، ويحرم التبرج . يريد الإسلام أن تقر الضمائر، وتطمئن الأرواح وتهدأ البيوت . لقد كان يريد السلام للعش الذى ليس ملكا للزوج وليس ملكا للزوجة ، فهما فيه راعيان للفراخ الزغب ، أمينان على الطفولة النابة ، حارسان للحياة المتفتحة فى مثابة الأمان .

والمبحث الثالث فى الحدود . معنى الحدود لغة الحاجز بين الشيئين الذى يمسك بينهما من الإختلاط . وفى الإصطلاح الشرع عقوبة مقدرة وجبت على الجانى [46]. يوجد الحد فى الإصطلاح العقوبة التى قررت الشريعة لحقوق الله . ذكر سيد أولا عقوبة الفاحشة وتشيعها وأدل بالقرآن الكريم ، و قرر سيد أن الحدود عنصر من عناصر الإجتناب

[46]) مجمع اللغة العربية : ١٩٠، وفى الكتاب درس مشكوة ، مولانا محمد إسحاق صاحب / ص : ٨١

الفواحش كالزنا ، والسرقة ، والقذف . هذه الأشياء إنتشرت سئ الأسس المجتمع ومنعت فى أمن البيت وسلامه .

يبين سيد قطب عن ترغيب للزواج عند الإستطاعة في الإسلام ، فمن له عذر فهو يدعو إلى الصوم تلطيفا لفورة الجسد . أن التربية الإسلامية المعتدلة . توقى من أسباب سائر الفتنة . يقول سيد ان الشاردين أظهروا صورا مختلفة للمجتمع خصوصا صورة القذرة ، وأشار إلى صورة الشباب محتكين بالفتيات ، والأفخاذ والنهود عارية بارزة والنظرات جاهرة فى العيون والشهوات ، ومناظر الأفلام الداعرة ، وصور الصحف المجرمة ، وأصوات المخنثين والمخنثات فى الإذاعة ، ولكن المجتمع الإسلامى شئ مغائر لهذا كله من الأساس ، ويدعو الإسلام بتوجيه الناس إلى الخير والفضيلة . والنظافة والعفة ، وتقوى الله وتعبيد الله وتقضى الوقت فى سبيل الله وبالعمل .

فى سبيل سلام البيت فى سبيل تماسك المجتمع يأخذ الأمر بعقوبات رادعة يوقعها على الفاحشين والفاحشات ، وأثبت حد الزنا بالقرآن الكريم وبعد ذالك ذكر إرشاد النبى صلعم عن الرجم للمحصن والمحصنة واتبع به الخلفاء . فأراد الكاتب بآيات القرآنية التى تشتمل أهمية التنبيهات والإصلاحيات ,احكام وحدود. فناقش الموازنة بين المجتمع الجاهلى والمجتمع الإسلامي . وبين الكاتب صورة حد الزنا وشرطه ان يرا الجريمة الشهود فى حالة الزنا أربعة نفر بلا شك . ان رأى شاهد واحد فكيف يحل المسئلة . وبين صور اللعان فى الإسلام . اللعان فى الشريعة أن يقسم الزوج أربعة مرات على صدقه فى قذف زوجته بالزنى ، والخامسة باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبا ، وبذا يبرأ من حد القذف ، ثم تقسم الزوجة أربع مرات على كذبه . والخامسة باستحقاقها غضب الله إن كان صادقا ، فتبرأ من حد الزنى [47].

والمبحث الرابع في الطلاق ، يفصّل سيد اللفظ الطلاق تفصيلا واضحا . واضح وظيفة الطلاق فى إتخاذ السلام فى البيت، وأحكامه وأقسامه وموضوعه . معنى الطلاق

---

[47]) مجمع اللغة العربية : ص/ ٨٢٩

لغة التطليق وفى الشرع الطلاق رفع قيد النكاح المنعقد بين الزوجين بألفاظ مخصوصة [48].
الإسلام لا يرغب لتطليق ، هو أبغض الحلال إلى الله ، إذا فات السلام بين الزوجين فيجوز أن يطلق بينهما باحسن صورة ، ليكن المسلم بالرضا والحب . فبين أقسام الطلاق وهو الطلاق الأحسن ، الطلاق الحسن ، الطلاق البدعى ، ووضح خلاصتهن . فى الإسلام فى كل خطوة وفى كل مرحلة بحسن المعاملة وتوفياة المعاملة وتوفية النفقة تأليفا للقلوب النافرة فى فترة العدة ، فقد يعود إليها ودها ، وتجبر شعوبها ، وتستأنف الحياة صافية من جديد اتى الكاتب بدلائل القرآنية فى هذا المجال. وذكر سيد كل مسائل الطلاق كطلاق رجعي ، وطلاق بائن . وبيّن عن أسباب الطلاق يحل الطلاق إذا فسدت القلوب ، وانحالات الأخلاق ، ورخصت الروابط فى وفشا الإستهتار فعالج الإسلام برد الحكم والتنظيم والتربية إلى الإسلام .

يختم كلام المؤلف خلاصة ان الزواج رابطة طيبة ، يقومه على الرضى والقبول، وتستمر الزواج بالرضى والقبول. ونظام الطلاق هو الكفيل ببقاءها قائمة على أصولها . فإذا يوجدها غير صالحة للبقاء ، وإن جهد ان لا يفعل غير صالحة يجب على الزوج ينبه أولا فان لم ترد منها فيجوز ان يتفرقا بنظام الطلاق فى أحسن الصورة .

والمبحث الخامس في تعدد الزوجات . يقدم الكاتب مضمونا واضحا فى هذا المجال. تعدد الزوجات رخصة فى الإسلام . وهى وظيفة صمام الأمن فى مجالها ، ووقاية إجتماعية بحثة ، يتقى بها أخطارا أكبر من مزاج الأفراد ، ومن رغبات الزوجات والأزواج . فى نظر الإسلام للحياة الفرد والبيت والمجتمع والإنسانية كلها متداخلة متعاونة متناسقة ، وخطب نفسه هل تحتاج إلى تشريع يناقض أو يقيد تلك الرخصة. إنه ينظر كل مشكلة إجتماعية قد تحتاج إلى تدخل من التشريع بالتعديل او التقييد ،

يبين الكاتب الشهيراسباب تعدد الزوجات وتوجيهه وعكس تصويرا واضحا المجتمع العالم وإن يوازن بين عدد الرجال الصلحين للزواج فيقل عدده عن عدد النساء ، او كانت من ناحية عدم القدرة على الزواج لأسباب إقتصادية او عائلية او اجتماعية عامة .

---

[48]) مجمع اللغة العربية : ص /563

يوجد هذهالحالة مثالا ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت توجد ثلاث فتيات فى سن الزواج مقابل كل شاب فى السن ما بين سن 20 وسن 45 . انها حالة اختلال إجتماعي واضحة ، فكيف يواجهها المشرع الذى يعمل لحساب المجتمع ولحساب المرأة والرجل ولحساب النفس الإنسانية جميعا ؟

فأجاب الباحث نفسه مبينا حلا من حلول ثلاثة :

الحل الاول : أن يتزوج كل رجل امرأة ، وتبقى اثنتان لا تجدان فى حياتهما رجلا ، ولا بيتا ، ولا طفلا ، ولا أسرة .

الحل الثانى : ان يتزوج كل رجل امرأة فيعاشرها معاشرة زوجية ،

الحل الثالث : أن يتزوج أكثر من إمرأة ، فيرفعها إلى شرف الزوجية ، وأمان البيت ، وضمانة الأسرة ، وتـامين الطفولة وضميره عن لوثة الجريمة ، وقلق الإثم ، وعذاب الضمير . ويرفع المجتمع عن لوثة الفوضى واختلاط الأنساب ، وضذارة الفحشاء .

الحل الثالث أكرم وأنفع للمرأة وأحث بالرجولة ، وأليق بالإنسانية لانها ضرورة اجتماعية وروحية وحيوية ، وفقد بحثت المانيا النصرانية التى يحرم دينها التعدد . بحثت عن الحل المناسب فلم تجد خيرة الا ما اختاره الإسلام ، والمرأة طالبت فيها بتعدد الزوجات ، ولم يجيء هذا الطلب من الرجال . حاجة النكاح هى الفترة التى قام على اساسها نظام الزوجية فى الإحياء وفى الأشياء سواء . انها الإرادة العليا التى أودعت نفس الجنسين هذه الحاجة لتبنى منهما الحياة ، ولتدفعهما إلى التعمير والإنشاء والنماء .

يشير المؤلف إلى قول الرخصة مع ذالك مقيدة بشرط العدل الممكن فبرهن بآية الكريمة : ''فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة '' فتفسير العدل هنا هو العدل فى الإنفاق ، والعدل فى الرعاية ، والعدل فى الكفاية بكل جوانبها مالية وجسدية ونفسية . فاما العاطفة القلبية الشخصية التى لا تؤثر فى مظاهر الحياة ، فالعدل فيها ليس فى يد البشر ، وكل ما يطلب فيها الأ يظهر الميل ، فتكون الأخرى كالمعلقة وبرهن بآية الكريمة .

يعرض الكاتب أخيرا على هذا المضمون وهى حقوق الزوجية مستويا بين الزوجات فى النفقات والحرية فى العبادة. وفقد أراد الإسلام السلام بهذه الرخصة ، وأراد تنسيق الحياة بكل ظروفها وملابستها ، ووضع فى حسابه اشواقها وضروراتها ، ووازن بين الأضرار والآلام ، فاختار أخفاها وأكرمها ، فأما الفارغون والفارغات فليسوا فى حساب الإسلام .

والمبحث السادس في التكافل العائلي . يبحث الموصوف عن هذا المضمون إن نلاحظ شخص الزوج وشخص الزوجة لنجد الإسلام يضمها البيت بامن الأسرة جميعا . ويقرر التكافل بينها جميعا . وفى تكافل حقوق وواجبات ، ومزايا وتكاليف . إن عاطفة الأمهات تكفى فى رعاية الأولاد وحب الآباء تكفى فى النهوض له وللأم بالنفقة ، ولكن الإسلام يضيف إلى العاطفة الفطرية التكليف الصريح . وذكر حق الطفولة بآية الكريمة :

’’ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطائا كبيرا ‘‘.

وبين حق الرضاعة وحق الوالين على الاولاد من إحترام وطاعة وأدب ، ومن رفق فى حالة كبرتهما والألفاظ التى يعبر بها القرآن عن هذه المعانى لتسيل انعطافا ورقة وشفافية . ثم ذكر حالة الأم بقدر ما تعبت وبقدر ما عطفت . وهذا نوع من التأمين الإجتماعي فى داخل الأسرة . هذا التكافل العائلي من النظم الإسلامية لشؤون البيت . دعائم السلام والأمان فى مثابة البيت

"سلام المجتمع" :

توجد أن سيد قطب بدأ أولا عن هذا المضمون أن الإسلام يقرر العلاقة بينهم جميعا فى المجتمع المسلم ، هى علاقة الود والرحمة ، وعلاقة التضامن والتعاون وعلاقة الأمن والسلام وقاعدة التناسق بين الحقوق والواجبات ، والتعادل بين المغانم والمغارم ، والتوازن بين الجهد والجزاء .

يحتوي الكاتب هذه المقالة على عشرة أبحاث ، البحث الأول وجدان الحب والرحمة والمبحث الثاني الأدب النفسي والإجتماعيى والمبحث الثالث شعور التعاون والتضامن والمبحث الرابع الأهداف العليا للحياة والمبحث الخامس نظام الحكم والمبحث السادس ضمانات العدالة القانونية والمبحث السابع ضمانات الأمن السلامة والمبحث الثامن ضمانات الحياة المعيشية والمبحث التاسع التوازن الإجتماعي والمبحث العاشر الاطمئنان إلى القانون .

يقدم كاتب البارع البحث الأول فى وجدان الحب والرحمة . الوجدان فى الفلسفة يطلق أولا : على كل إحساس أوّلي باللّذة أو الألم . وثانيا : على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللّذة أو الالم فى مقابل حالات أخرى تمتاز بالأدراك والمعرفة [49]. قد ناقش سيد قطب فى هذا مقدم للبحث مصدر من مصادير السلام فى المجتمع الإسلامى هو وجدان الحب والرحمة . أظهر مناسبة الحب والرحمة بالروح إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة ، ويوقظ فى وجدانهم شعور النسب والقربى ويذكرهم أخوتهم فى الله وفى المنشأ والمصير . وكان ذالك الوجدان بمثابة الضمانة الوثيقة للشرائع والتنظيمات ، وسارت عجلة الحياة فى يسر ورفق وسماح . وأشار ثابتا بآية القرآنية إلى تخليق آدم و زوجته حواء وذريته وبثّهم الله فى الدنيا وأمر الله الناس ان يجتنبوا من قطع الرحم هو اثم من الكبائر واهتم بهذا ان إقامة القرابة وأداء حقوقهم على كل حال. كما قال الله تعالى :

’’ يا يها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيبا‘‘ [50].

يذكر قطب سيد بمناسبة هذه الآية اتحد الإنسانية فى نسب واحد وفى اله واحد ، وهذه الصلة تشمل الناس على إختلاف الملل والنحل والأجناس والألوان واللغات والأقوام . واتحد جميع المؤمنين أقرب رحما ووإخواتهم فى الله وتقائهم عقيدة من روابط الدم كما قال الله تعالى :

'' انما المؤمنون إخوة '' [51] ويآتى احاديث النبوية عن هذا مفهومه المؤمنون فى حبهم ورحمهم كالجسد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد . وفى حديث آخر :" لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا "[52] وصفة الإيمان بالحب لا يفرق المرأ بين نفسه وأخيه : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه '' ويحرم عليهم الخصومة أكثر من ثلاث ليال يفثأون فيها غضبهم ثم يثوبون غلى المودة والقربى : ''لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ''

وبين سيد أوصاف النبى صلعم ، مما أعطا الله صفة الإحسان على نبيه وأخلا ق النبى وأمر الله أن يعفو من ظلم ويستغفر ويشاور فى امور الدنيا والآخرة وبين فضائل العفو والحب والرحم كما قال الله تعالى :

'' فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظا القلب لانفضوا من حولك'' [53]

وقال الله تعالى :

''لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ''[54]

وهناك أحسن الله على المسلمين ان يبعث إليهم هذا الرسول . وأوصف بها الأولى هو من البشر(ليس من النور كما يعتقد أهل البدعة) والصفة الثانية هى فاجع قلبه إذا أصابت التكاليف والمشقة على أمته والصفة الثالثة هى حريص بهدايتكم وفوز الدارين ولا يحب ان يلقيكم فى جهنم . والصفة الرابعة صاحب خلق عظيم [55].

---

[49]) مجمع اللة العربية :ص/ ١٠١٣
[50]) سورة النساء : آية ١
[51]) سورة الحجرات ١
[52]) متفق عليه
[53]) آلعمران / ١٥٩
[54]) سورة التوبة - 128

[55]) تفسير إبن كثير

الغلظ والصلابة والشدة أمارة الكفر والتكذيب بالدين كما قال الله تعالى :

'' أرايت الذى يكذب بالدين ، فذالك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين''

يفسر صاحب ابن كثير سأل الله تعالى نبيه عن رؤية الذى يكذب بيوم القيامة ويظلم على اليتيم ويأكل حقه ولا يعطى المسكين طعاما ولا يحض نفسه . وقد تكون هذه مفاجأة بالقياس إلى تعريف الإيمان التقليدي . . ولكن هذا هو لباب الأمر وحقيقته إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعا بعنف - أي الذي يهين اليتيم ويؤذيه . والذي لا يحض على طعا م المسكين ولا يوصي برعايته . فلو صدق بالدين حقا , ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه ما كان ليدع اليتيم وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين. إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان ; إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية , المحتاجين إلى الرعاية والحماية . والله لا يريد من الناس كلمات . إنما يريد منهم معها أعمالا تصدقها , وإلا فهي هباء , لا وزن لها عنده ولا اعتبار .[56]

ثم يشير الكاتب إلى إحسان على البهائم وله أجر فى الإسلام كما بيّن النيى صلعم واقعة الكلب العطش. وهى غاية فى إستجاشة وجدان الرحمة لا تبغها الا العقيدة المؤمنة بالوشائج الكبرى بين الأحياء جميعا ، وبوحدة الخالق ووحدة الخلق فى هذا الوجود العريض . وهى العقيدة الجديرة بان تغمر نفس الإنسان أرقى هؤلاء الأحياء وخيلقة الله فى أرضه عليها جميعا.

والمبحث الثاني الأدب النفسي والإجتماعى . يناقش سيد كيف يحقق الإسلام الحب والصفاء فى النفوس والقلوب ، فانه يأخذ المسلمين بآداب نفسية وآداب اجتماعية تعين على هذه الغاية . السلوك المهذب والأدب الجميل والمعاملة الطيبة كلها تشيع فى جو الحياة الإجتماعية رضى وبشاشة وطمأنينة قد تغني عن التشريع والقانون . الإسلام يكره التنفج على العباد والكبر والخيلاء كما قال الله تعالى :

’’ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب مختال فخور ، واقصد مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ‘‘

يعلّم الله هناك المؤمنين آداب السلوك والكلام مع الناس وآداب المشى والصوت ولا تتكبر فى نفسك، الكبر من علامة الشيطان. الإسلام يحرم كل ما يمس كراهات الناس أحاسيسهم ويلمزهم فى مشاعرهم كالإسخار والإلمازوالتنابز والظن الإثم والتجسس والغيبة وأثبت بآيات القرآنية :

’’ ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان . ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ‘‘ [57].

ونهى الله أن يتناجى إثنان فى حضرات ثالث الذي لا يشترك فى التكلم وكذالك نهى عن الإحسان من التصدق والمعروف ، وكذالك لخّص المؤلف من القرآن الكريم والأحاديث النبوية . منها إشاعة الكلمة الطيبة ، إفشاء السلام فى كل مكان ولكل إنسان على معرفة أو غير معرفة إطعام الطعام ومقابلة السيئة بالحسنة والصفح عن المساءة وضبط الناس عند الغضب ، العفو على أخيه والصبر عند المصيبة ، السماحة فى المعاملة بيعا وشراء وإقتضاء ، والأمانة فى التبادل ، النصح فى التجارة، نقصان الخمر والميسر.

وهكذا يقررالإسلام الأدب النفسي والإجتماعى بدوره فى تصفية جو الحياة ، وإشاعة المودة الألفة فى النفوس ، ويساعد فى بناء السلام فى المجتمع فى عالم الواقع وعالم الإحساس.

---

[56]) تفسير فى ظلال القرآن : ص/4719

[57]) سورة الحجرات : ١١-١٢

والمبحث الثالث عن شعور التعاون والتضامن . يجمع سيد فيها واجبات المسلمين وحقوقهم إجمالا فى حديث . ربط الإسلام المسلمين فى المجتمع بعد ذالك برباط المصلحة المشتركة . كل الناس راعون فى التعاون والتضامن . آتى مثالا من حديث زمفهوم الحديث . يقول النبى صلعم كلكم راعون ألإمام ولى فى محله والرجل ولى فى أهله والمرأة ولية فى بيت زوجها والخادم ولى فى مال سيده والرجل ولى فى مال أبيه . وفذكر حديثا آخر عن إصلاح المجتمع فذكر فى هذا الحديث إذا أرادت جماعة ان يفعل العمل السوء فيجب على جماعة آخر ان يمنعها منها وان لم ينه فيهلكوا كلهم . فذكر حديثا فيما يأتى مثال السفينة .

فلهذا الجماعة مسؤلة عن رعاية الضعاف فيها وكفالتهم وحمايتهم فى أنفسهم وأموالهم خصوصا فى حقوق اليتامى والسائلين فقدم الباحث دليلا بآيات القرآنية منها :

''فأما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا نتهر'' [58]

ثم يبيّن الكاتب عن آداب المعاملات فيما يحرم فى التجارة وما يحل فوضع نقصان الربا وفضائل البيع بآيات القرآنية :

'' الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ''[59]

'' يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ''[60]

يأمر الله تعالى المؤمنين بالتقو وافعل ما يحب الله فى سائر المعاملات كإجتناب من الربا. ان المال ينبغى أن يعطى المحتجين قرضا بلا فائدة ، لتشع فى الجماعة روح المودة والرحمة ، وحرم الله الغش وتطفيف الكيل والميزان : فقال الله تعالى :

'' ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أوّزنوهم يخسرون '' [61]

---

[58]) سورة الضحى :٩-١٠

[59]) سورة البقرة :٢٧٥

[60]) سورة البقرة : ٢٧٨

وأعرض من الغش وبخس الناس وأمر المسلمين أن يعتصموا بحبل الله جميعا . لإتحاد المسلمين فى المجتمع والعالم . وتعاونة فى سبيل الله وتجمعهم فى طاعة الله . كما قال الله تعالى :

'' واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفاحفرة من النار فأنقذكم منها ''
62

ويختتم المؤلف كلامه أن هذه الروابط التى يلتقى عليها الجميع ، فيحسون على الوحدة التى تجمعهم ، وما من شك أنها لبنة فى بناء السلام الإجتماعى ذات قيمة البناء .

والمبحث الرابع الأهداف العليا للحياة . يناقش سيد قطب فى هذا البحث عن تحقيق الإسلام السلام فى المجتمع الإسلامى بنقلة ينقلها للفرد وبيّن مقاصد الحياة الإنسانية فى مجال عروج القومى والنشاط والعمل والخيال لا يعيش لذاته ويعيش للإنسانية جميعا المسلمون اوصياء فى الأرض ، وخلفاء لله وذواتهم وجهودهم وحياتهم كله لله . وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة ; لتعرف حقيقتها وقيمتها , وتعرف أنها أخرجت لتكو ن طليعة, ولتكون لها القيادة , بما أنها هي خير أمة . والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض . ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية . إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها . وأن يكون لديها دائما ما تعطيه . ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح , والتصور الصحيح , والنظام الصحيح , والخلق الصحيح , والمعرفة الصحيحة , والعلم الصحيح . . هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها , وتحتمه عليها غاية وجودها . واجبها أن تكون في الطليعة دائما , وفي مركز القيادة دائما . ولهذا المركز تبعاته , فهو لا يؤخذ ادعاء , ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له . . وهي بتصورها الاعتقادي , وبنظامها الاجتماعي أهل له فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمي , وبعمارتها للأرض - قياما بحق الخلافة - أهلا له كذلك . . ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير ; ويدفعها إلى السبق في كل مجال . . لو أنها تتبعه وتلتزم به , وتدرك

---

[61]) سورة المطففين : ١-٣

مقتضياته وتكاليفه [63]. هناك أشار إلى ثلاثة أوصاف التى تحتاج ليكون خير أمة وهى أمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله . كما قال الله تعالى :

''وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون المعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله''[64] '' ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا فى التورات والإنجيل والقرآن '' [65]

أخبر الله المؤمنين عندما ينفقون أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله فوعد الله ان يعطيهم الجنة.

فبين الكاتب أهمية الجهاد ومقاصده ودلائل القرآنية والأحاديث النبوية . المراد بالجهاد الإصلاح الكون العام ولتصبح كلمةالله هى العليا ، ولتدفع الفتنة فى الأرض، ويعبدون الناس لله وحده . والمسلمون حماية الضعفاء ودفع الأذى عنهم ومنحم الأمان ، ليضع تلك الأهداف العليا فى كفة ، واحكم الله الحب خالص لله ولرسوله وجهاد فى سبيله. كما قال تعالى :

'' قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزاجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترجونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين '' [66]

بين مقاصد تخليق الإنسان والجن.

والمبحث الخامس نظام الحكم . وهو وسيلة من وسائل لإقرار السلام فى المجتمع عن طريق التشريع والتقنين والإلزام. وهوايضا أسس من السلم والعدل والطمانينة . فى الطريقة الإسلامية اولا لا يحكم الا بما أنزل الله على نبيه وثانيا طريقة الشورى ، قال الله تعالى عن الشورة : وأمرهم شورى بينهم''[67] ''وشاورهم فى الأمر''[68] لم تحدد طريقة معينة للشورة ، فذالك متروك لحاجات كل عصر وضروراته وطريقة حياته . فى الإسلام

---

[62]) سورة آل عمران : ١٠٣
[63]) فى ظلا ل القرآن : ٥٧٨
[64]) سورة : ال عمران ـ ١١٠
[65]) سورة التوبة ـ ١١١
[66]) سورة التوبة ـ 24
[67]) سورة الشورة ـ ٣٨
[68]) آل عمران ـ ١٥٩

لا فرق بين الحاكم والمحكوم ولا فضل فرد على فرد ـ جميعهم عباد الله والشريعة نظام الله فكلهم سواء عند الله . بعد ذالك أوضح سيد على إطاعة الأمير وفضائله وضرورته . الإسلام صريح فى وجوب المجاهدة من لا يحكم بما أنزل الله ، وتحريم طاعة المسلم له على الإطلاق . لان محمدا صلعم حاكم المسلمين الأكبر الذى يقول لاهل بيته :

'' يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباش ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ''

قال أبوبكر الخليفة الأولى عند وقوف عقب : أما بعد ايها الناس ـ قد أني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني ، ون أسأت فقوّموني'' وقال ايضا : '' أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ''

هذه الأشياء وسائل من الإستقرار التى غير منفصلة من السلسلة المتماسكة ، فى فكرة الإسلام الكبري عن الحياة .

المبحث السادس عن ضمانات العدالة القانونية . فالمؤلف لهذا الكتاب يذكر أهمية ضمانات العدالة فى الإسلام وفضائله ومقاصده فبحث اولا بآيات القرآنية والثاني آتى الحديث النبوى وثالثا بالواقعات التاريخية الإسلامية . وأثبت من القرآن منها :

"يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهاداء لله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين . إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوا أن تعدلوا . وإن تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا" [69] .

"يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهاداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" [70].

أمر الله المؤمنين فى الآيات المدروجة بتثبيت على العدل ، وكل فرد فى الجماعة الإسلامية ضامنون على إقامة العدل ويكون شهاداء لله . وأوفى عهدهم ويحكم بالقسط ولا يتبع الهواء ولا يأكل مال اليتيم ولا يحصل أموالا بطريق الباطل . وبين حديثا على فضيلة للإمام العادل ونقصان على إمام جائر . ثم توجه إلى بيان التاريخ الإسلامى عن تعليم الإسلام . والواقعة التى وقعت بين الخليفة على ونصرانى بالدرع. والقاضى أحكم على حق

---

[69]) سورة النساء ـ ١٣٥

نصرانى لثبوته ، وأخيرا تقبل نصرانى الإسلام لمشاهد العدل فى الحاكم فى المجتمع الإسلامى .

يختتم الكلام ان الحاكم الذي يدير أمورهم ليست له حقوقهم زائدة عن حقوقهم . القاضى الذي يتولى القضاء لا يستمد حكمه من نفسه ولكن من قانون الله عند تطمئن نفوسهم ويقوم السلام الإجتماعى على أحد أركانه السليمة .

المبحث السابع عن ضمانات الأمن والسلامة . يوضح سيد قطب فى هذا المضمون أن الإسلام يجب للفرد ضمانات أمنه وسلامته فى حياته الجماعية ، لهذا هى ضمانة المجتمع الفرد والجماعة واحدة فى الإسلام فى صورتين : الفرد فردا . والفرد مشتركا فى جماعة ومجال هذه الفكرة كانت الضمانات التى فرضها الله للناس جميعا ، وكانت العقوبات التى تحل على المفسدين فى الأرض منهم بما فسقوا عن أمر الله المؤدى إلى الخير العام .

الأولى : **ضمانة الحياة** : قتل الناس بغير الحق والشريعة الإسلامية تتضمن هذا المبدأ فى كل زمان كما قال الله تعالى :

'' ومن أجل ذالك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحياالناس جميعا ''

ويبيّن مذمات القتل وحكمه فى حالة العمد فله قصاص وفى الخطأ يلزم الدية والفدية ، وقرر الإسلام قصاص الأعضاء بالأعضاء كقتل النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح بالجروح.

ضمانة الدم : فى ضمانات الحياة تشتمل ضمانة العرض وماله فضمانات العرض تتعلقها عقوبات الزنا وعقوبات القذف .

ضمانة المال : يقر الإسلام طرق حصول المال كطريق الغش والربا والإحتكاروالسرقة والنهب والسلب . أشار إلى حرمة المسكن ان لا يدخل احد على دار آخر بغير إذن . كما قال الله تعالى :

---

[70]) سورة المائدة ـ ٨

’’ يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيرلكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذنلكم وإن قيل لكم ارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعلمون عليم ‘‘ [71].

ضمانة الحرية الشخصية فلا تفرض عليها رقابة الجاسوسية . وضمانة الأمن فى الغيبة والكرامة فى الحضور ولكن الشريعة الإسلامية تقرر التعزير ، والتعزير عقوبات دون الحدود الذى تركت للتشريعات الجزئية ، وضمانة الإتهام فيجب أن يأمن الناس الأتهام بالباطل ، او إجتناب من الشبهات . ثم يستعرض شرط حد الزنا حد القذف محصنة وبيّن قصة التى وقعت على عهد النبى صلعم أن ماعز بن مالك جاء النبى صلعم فعترف جريمته الزنا فحقق النبى صلعم حديثه ثم عليه الحد.

وهكذا إستكمل الضمانات للفرد والجماعة فى النفس والعرض والمال والحقوق جميعا فتكون هذه الضمانات فى بناء السلام الإجتماعي فى محيط الجماعة .

والمبحث الثامن عن ضمانات الحياة المعيشية . الإسلام يقدر قيمة المعيشي باقتصادياته وضرورته فى حياة الفرد وحياة الجماعة ، فبحث فيه كيف الإسلام يعرف الإنسان إنسانا ويعرف طبيعته . ويضع الضمانات بجانب التوجيهات لتوفير هذه الكفاية المعيشية اولا أظهرنا سيد كيف يوفر الإسلام ضمانات المعيشية ويكفلها ، ذكر عملا كوسيلة الحياة الأولى فى الإسلام له قداسة وترفع العمال فآتى حديثا :

’’إن الله يحب العبد المؤمن المحترف‘‘[72] ’ ما أكل طعامكم قط خيرا من عمل يده ‘‘ [73]

يدعو الرسول إلى توفية العامل أجره قبل أن يجف من عمل يده ، الإسلام يضمن على الدولة ان تكفل رعيته عند تعذر العمل . وكذالك تبين ضمانة الدولة على المولود وجعل رضعه ونفقته من بيت المال المسلمين وأيضا فريضة الدولة المسلمين أن تكفل عجزة اليهود والنصرى الذين يتعذرون على كسب المال . إذا كان العمل لا يسد الحاجة فبيت المال هو الكفيل ، الدولة تجب من المالكين ، وتصرفها بمعرفتها على المحتاجين .

---

[71]) سورة النور ـ ٢٧ـ ٢٨

[72]) من حديث ذكره قرطبي فى التفسير

[73]) البخارى

مصارف الزكاة هم الفقراء والمسكين والمسافر والمدين . الجماعة ملزمة بكفالة كل فرد فيها ، وتوفير الكفاية المعيشية له عن طريق الإلزام لا عن طريق الإحسان . وهناك التكافل العائلي الذي يفرض للعاجز والمحتاج فى كل أسرة نفقة مفروضة بحكم القانون . وفى توزيع الحقوق والواجبات فى محيط الجماعة بشكل عا .

المبحث التاسع عن التوازن الإجتماعي . يوازن المصنف التوازن الإجتماعي فى كل موقف من مواقف الحياة الإنسانية فى الشريعة الإسلامية . لكل فرد كفالة الرزق ، وللجميع ضمان الكفاية المعيشية . كما قال سيد من خطوات الإسلام فى طريقه إلى تحقيق عدالة الإجتماعية شاملة ، تحقق سلاما إجتماعيا شاملا . وعرّف المؤلف اللفظ التوازن الإجتماعي هو القاعئدة الكبرى التى يقيم عليها الإسلام بناء العدالة الإجتماعية التى ينهض على اسسسها السلام الإجتماعي. يلحظ هذا التوازن فى نظام الحكم وطريقه ، وفى طبيعة التشريع وطرق التقاضي ، وفى كفالة الأمن وكفالة الرزق ، وإستعرض سيد الذروة فى الجانب الإقتصادى فى إختصار. أقام الإسلام هذا التوازن على عدة مبادىء أساسية عامة ، يقررها لنظريته فى المال اصولا .

المبدأ الأول : مبدأ الا يكون المال متداولا فى أيدى الأغنياء دون الفقراء ؛ فآتى دليلا من القرآن : كي لا يكون دولة بين الفقراء [74]. ناقش الكاتب هناك عن تصرفات مال الفئ بين المحتاجين وذكر واقعة تصرفات الرسول فى بنى نضير. وهذا المبدأ القاعئدة الأساسية لتوزيع الثروة فى الأمة الإسلامية . الدولة الإسلامية ت

حكم بشريعة الله . ويخصص هذا المبدأ حق الملكية الفردية . هى قاعئدة النظام الإجتماعي فى الإسلام .

المبدأ الثاني : مبدأ " المصالح المرسلة " يوجب على الدولة الإسلامية أن ترعاها بحسب المقتضيات والظروف يقول الإمام مالك تقتضيه حاجة الخزانة العامة للإنفاق على مصالح المسلمين العامة . تقيد هذا المبدأ لحق الملكية الفردية وتحديد يجعله دائما خاضعا لحاجات الجماعة المسلمة . وفى هذا البناء تملك الدولة تحقيق التوازن الإقتصادى ، لا عن طريق ضريبة .

المبدأ الثالث : مبدأ سد الذرائع : فحقق الكاتب هذا المبدأ أن معنى سد الذرائع رفع الوسيلة مثل وسيلة المحرم ، محرمة وسيلة الواجب واجبة كما الفاحشة حرام والنظرة إلى إمرأة الأجنبية حرام . والجمعة فرض السعى للجمعة فرض وترك البيع وقت الجمعة فرض وكذالك الحج إلى بيت الحرام فرض وسائر مناسك الحج فرض لأجله . فمن واجب الدولة المسلمة التى تحكم بشريعة الله . هناك نجد نفس القيود على حق الملكية الفردية .

المبدأ الرابع : مبدأ تحريم الربا : قد وازن بين اللفظين وهما الربح والربا . فاشار صورة الجوائز للربح وفائدته أسباب الحرام للربا ونقصانه . لا يقبل الإسلام فى النظام الرأسمالي . ويحقق العدالة بين الجهد الحقيقى والجزاء ، ويمنع أن ينال القاعدون الكسالى جزاء لا يستحقون ويضمونهم الفائدة الحرام أموالهم فى البنوك وغير البنوك . وتخل بالتوازن الإقتصادى والإجتماعي على نحو ما هو مشاهد فى ذالك العالم .

والمبدأ الخامس : مبدأ تحريم الإحتكار : قد وضع الكاتب تجارة الإحتكار . يخلق الإحتكار قوة طاغية فى يد المحتكر لا يستمدها من الجود الإتقان ، وحسن الخدمة وكفايتها ـ تستخدم هذه القوة الطاغية دائما السوق وضد مصالح المستهلكين . يختل التوازن الإقتصادى لان الإحتكار وسيلة لتضخيم الثروات بايسر جهد ، وعن طريق حرام ، وبوسائل مريبة ، وبإفساد الذمم والضمائر والأخلاق .

المبدأ السادس : مبدأ شيوع الموارد العامة : يقول سيد أن يسمى هذا المبدأ '' تأميم الموارد العامة '' مثل الماء، والكلاء والنار من موارد عامة لا يجوز تحديدها بملكية خاصة . ويرى المالكية فى أقوالهمان ليس شيء من الأنواع الثلاثة : المعادن والفلزات والسوائل من الأموال مباحة (كتاب '' أحكام المعاملات '' للأستاذ علي الخفيف الأستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة) وتنشأ من هذه الملكية آثار سيئة فى داخل الجماعة . الإسلام يراعي توفير الضمانات لكل فرد أن يكون مالكا لموارد رزق خاص ، يحرره من العبودية للدولة إذ انه يقيمه حارسا على شريعة الله بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وهو لا يملك حريته إذا كان رزقه فى يد الدولة والإسلام يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردوها على

---

[74]) سورة الحشر ـ ٧

الفقراء ليملكها ملكية فردية تضمن لهم تلك الحرية . ويجعل الناس شركاء فى الموارد العامة .

المبدأ السابع : مبدأ تحريم السرف والترف : يستعرض سيد قطب هناك عن تحريم السرف والترف فقدّم الآيات الكريمة :

'' يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تشرفوا . انه لا يحب المسرفين . قل: من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة كذالك نفصل الآيات لقوم يعلمون.''

أمر الله تعالى المؤمنين الا تتجاوز الحد فى اللبس والطعام والشرب والتكبر. وكسب المال من طرق الباطل من الإسراف فهذا إجتنب منه .

فإذا أراد الله أن يهلك قرية أمر الله الفاحشين أن ينذروا عذاب الله إذا فعلوا خلاف الحق فدمر الله . يفهم منها المترفون كانوا على مدار التاريخ هم اسباب انهيار الجتمعات والشعوب . الترف فى أمة لا يقوم إلا على حساب الشظف فى فريق كبير من أبنائها ومما يفقد الجماعة روح السلام والإخاء . ويفرض على الدولة الإسلامية ان تنزالوسيلة الخطرة من أيدى العابثين بالنار . فمبدأ الوقاية من الإحتمالات المنتظرة . وهو الذى يحرم الوسيلة إذا كانت تؤدى إلى غلية محرمة ، ووجود المال الفائض فى أيدى هؤلاء هو الوسيلة التى يجب منعها اتقاء للعاقبة ،

المبدأ الثامن تحريم الكنز : معنى الكنز دفن المال تحت الأض ، فأنذر الله الناس الذين يجمعون اموالهم ولا ينفقونها فى سبيل الله فيحمى أموالهم يوم القيامة فتكوى بها وجوههم وجانبهم وظهرهم . كما قال الله تعالى :

'' والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جبتههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون '' [75].

---

[75]) سورة التوبة : 34- 35

يقول سيد قطب تفسيرا لهذا الآية أن حبس المال عن التداول والكف عن الإنفاق فى تلبية الحاجات والمصالح التى تكمل بها كلمة الله ، من شانه أن يفسد التوازن المسالي والتجاري والإقتصادي عامة ، انما هى مسألة تشريعية ، تطالب الدولة المسلمة بمنعها عن طريق التشريع وعن طريق التشريع وعن طريق التنفيذ . وبيّن حكمه ونقصانه حبس المال عند الإسلام ، إن كان هذا الحبس عن بخل وتقتير فهو داخل فى نص النهى كما قال الله تعالى :

'' ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك''[76]

وإن كان عن كراهية للإنفاق فى سبيل الله فهو داخل فى نص فى قوله تعالى :

'' وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة '' [77]

يناقش سيد قطب صورة الجوائز حبس المال . فقال من أدى زكاته ليس بكنز ويدلل بحديث النبى صلعم :

''من جمع دينارا أو درهما او تبرا او فضة ولا يعده لغريم ، ولا ينفقه فى سبيل الله ، فهو كنز يكوى به يوم القيامة'' [78]

ما عدا هذه الصورة فهو كنز ينطبق عليه النص التحريم . هكذا فليفهم الإسلام على ضوء مباده الكلية العامة .

المبدأ التاسع : مبدأ من أين لك هذا : الكاتب الموصوف تصور الملكية الفردية على ضوء الإسلام . لا يأذن الإسلام أن يحصل هذه الأموال من طريقة النهب والسلب والغصب والسرقة والربا والإحتكار ويجب على الدولة الإسلامية ان تبحث أسباب التملك . الإسلام يقرر حق الملكية الفردية ، فلا حق لأحد فى خلق ولا فى معاش ويجعل للجماعة فى النهاية حقها فى هذه الملكية الفردية التى تحتج بها المجاهب الفرجية ، وينفى عنها كل عيوبها التى تحتج بها المذاهب الجماعة ،

المبدأ العاشر : مبدأ الزكاة : الزكاة ضمانة من الضمانات الإقتصدية والإجتماعية فى الإسلام . شرّح الكاتب أن الزكاة ركن من الأركان الخامسة فى الإسلام . لها أهمية كبرى

---

[76]) سورة بنى إسرائيل ـ ٢٩
[77]) سورة البقرة : ١٩٥
[78]) ذكره قرطبي فى التفسير

على تأسيس السلام فى المجتمع الإسلامى . الزكاة فريضة تأخذ بنظم ثابت ما يعادل 2.5 % من اصل الثروة كل عام . هذه الصورة الإحسان المذل لكرامة الإنسان . يجب على الدولة المسلمة تتولى إنفاقها بنظام معين . ذكر عملية الزكاة هناك الغنى يتبرع ويتصدق والفقير يأخذ ويشكر . يقول سيد لا يناسب ان ينفق مال الزكاة للأغراض التعليم وبناء الدور وأداء للأجور وعلى أدوات الطلاب وكتبهم وغذائهم لأن هذا النظام يهين كرامة المعلمين والطلاب. هذه الأموال هى حق الفقراء المسلمين . ويقول سيد بعض الدولة تنفق مال الزكاة لتكوين الجيش وتسليحه ، فقيل الجيش يتسول وكرامته تستذل ، لان الدولة أخذت من الأغنياء، الغنى والفقير ليسا سواء فى أدائها . الزكاة عبادة من العبادات هى فى جانبها المالي ضريبة كبقية الضرائب . لا حق للدولة ان تقسم اركان الإسلام وصاحب الزكاة ينفقها فى إصلاح حال المجتمع كما قرر الإسلام .

المبحث العاشر عن الاطمئنان إلى القانون قد بحث ان هذه الوسيلة لتحقيق السلام فى المجتمع هى طبيعة الشريعة الإسلامية وعلاقة النفس البشرية وهى ذات أثر حاسم فى إقرار السلام الإجتماعي فى النهاية . القانون لم يكن مطاعا نافذا ولكن تطمئن إليه النفوس. وتحس بينها وبينه بالتجاوب والتعاطف وتلمس تحقيق مصالحها وأهدافها .

الخروج على القانون ينشأ فى العالب من عوامل ثلاثة تتجمع إليها كافة العوامل الفرعية:

الأول : هو الشعور بأنه غير عادل ، لأنه يحقق مصلحة فرد او طبقة وسيلة من وسائل تيسخير لهواهم ، دون فائدة تكافئ جهودهم .

الثاني : هو الإحساس بالغربة بين روح القانون وروح الجماعة التى تحكم به لأنه لا يلبى حتجتها الشعورية ، ومصالحها المادية ، مقتضيات حياتها ، بسبب غربته عن روحها وظروفها وتاريخها.

الثالث : هو محاولة الفرد تحقيق شخصياته على القانون الذى وضعه له سواء ، سواء كان الذي وضع القانون فردا او هيئة او طبقة لان القانون يتضمن قيودا.

يذكر هناك ناقدا قانون الأرضي التى تشرعها البرلمانات المنتخبة وطبقة العمال الحاكمة فى الدول الشيوعية . إعتبر سيد نظام الدولتان عيوبا مختلفة مثل إختيار الحر من

الشعب خرافة . تكون البرلمانات المنتخبة فى يد صاحب رأس المال لهذا لا يمكن ان يبرأ من هذا الميل . وفى حالة حكم الطبقة العمالية ، وتكن جموع العمال هى الأغلبية .

أما فى حالة القانون الإسلامى فى حالة الإستيراد والتقليد ، فيتم العيب الباقى ، وتقع الفجوة بين روح القانون وروح الجماهير ، الشريعة الإسلامية بريئة من تلك العيوب . وبين وجوهاتها منها فكل فرد فى الإسلام له حقوق وعليه واجبات متكافئة مع هذه الحقوق . وهكاذا يظل المجتمع الإسلامى مجموعة أفراد تتكافأ حقوقهم وواجباتهم فى القانون ، ويقضى القانون لبعضها على بعض ، وبناء علىذالك ظل للنظام الطبقي فى الإسلام عندما تنفذ الشريعة الإسلامية كاملة فى عالم الحكم وعالم المال . عرض سيد نموذج كثيرة عن الحوائج المختلفة بحكم الشريعة الإسلامية فهى لازمات النفس البشرية فى كل النشاط الإنساني وهى حاجة الجسد وحاجة الفكر وحاجة الروح ، فى شعائرها وشرائعها سواء . وبين كل ما يلزم الطبيعة الشريعة الإسلامية .

الإسلام دين الذى يجعل إطاعة الحاكم مستمدة من قيامه على الشريعة التي وضعه الله تعالى وموقوتة بتنفيذ الحاكم لهذه الشريعة واتباعها فإذا إختلف الأمير والمأمور فى أمر او قضية فليرجع الأمير والمأمور إلى الله والرسول ، قد أشار المصنف آتى بدليل من القرآن :

’’ يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ‘‘

يفسّر فى تفسير الميسر خاطب الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ، استجيبوا الأوامر الله تعالى ولا تعصوه ، واستجيبوا للرسول صلعم فيما جاء به من الحق وأطيعوا ولاة أمركم فى غير معصية الله ، فإن اختلفتم فى شيء بينكم ، فارجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلعم إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب . ذالك الرد إلى الكتاب والسنة خيرلكم من تنازع وأحسن عاقبة ومآلا [79].

---

[79]) تفسير الميسر۔ ص ٨٧

ويختتم حديث سيد قطب فى هذا المضمون أن جميع المبادىء المذكورة لتحقيق التوازن الإجتماعي هذه المبادىء فى يد '' الدولة المسلمة'' التى تحكم بشريعة الله كاملة ، التى لا نستمد قوانينها الا من هذه الشريعة الإسلامية [80].

"سلام العالم" :

يبدأ سيد قطب كلاما مختصرا من الأبحاث السابقة فى ضوء نظر الإسلام الكلية للكون والحياة والإنسان إجمالا فى بدىء هذا الكتاب . الأن بحث عن مصادير التى تتعلق على تأسيس سلام العالم . بين فيها القوانين الأصولي آتى بدليل القرآنية منها :

''كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ،ثم إليه ترجعون ''

بذكر سياق الكلام يقول سيد قطب أن الإسلام يعد الحياة الإنسانية وحدة من ناحية الزمان ، متماسكة الحلقات ومتدرجة الخطوات ومتضامنة الأجيال ومتعاقبة الأطوار يخاطبون الله المشركين كيف ينكرون وحدانية الله تعالى ويشركون بالله غيره فى العبادة مع البرهان القاطع عليها فى أنفسهم. فلقد كانوا غير مخلوقين فأوجدهم ونفخ فيهم الحياة ثم يميتهم بعد إنقضاء آجالهم التى حددها لهم ثم يعيدهم أحياء يوم البعث ثم إلى الله يرجعون للحساب والجزاء . وآتى بدليل آخر منها:

''ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها'' [81]

يفسرها سيد قطب ان فطرة الإنسان وحدة ممتزجة المادة والروح قابلة للإرتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة . وفى تفسير الميسر أن الله أقسم بكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها فبين لها طريق الشر وطريق الخير قد فاز من طهّر ونماها بالخير وقد خسر من أخفى نفسه فى المعاصى . يلخص سيد قطب إتفاق المسلمين على النظرية الكلية أن الإسلام يعد البشرية والدين والأمة والصورة الأخيرة والنهاية لهذا الدين واحدة . بيّن أساس السلام ومبادئه من إفراد الله سبحانه بالألوهية وبالربوبية وبالحاكمية تكرر كل السياق الكلام . لايوجد فى الإسلام الإفراط ولا تفريط فى كل إتجاهات الحياة فاثبت بآيات القرآن منها :

---

[80]) السلام العالمى والإسلام ـ ص/ 166

[81]) سورة الشمس ـ٧ـ١٠

’’ وكذالك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ‘‘

يقول الله تعالى فى هذه الآية أنه يهدي المسلمين إلى طريق الصحيح فى الدين جعل السلمين أمة خيارا عدولا ليشهدوا على الأمم الآخرة ان رسلهم بلّغتهم رسالات ربهم ، ويكون الرسول فى الآخرة كذالك شهيدا على المسلمين أنه بلّغهم رسالة ربه . أشار إلى امة محمد كخير الأمم دليلها : ’’كنتم خير أمة أخرجت للناس بالمعروف وتنهون عن المنكر ،وتؤمنون با الله . خاطب الله أمة محمد صلعم خيرا الأمم وأنفع الناس للناس سبب الخير هو الأمر بالمعروف اى عرف حسنه شرعا وعقلا ,وتنهون عن المنكر ، وهو ما عرف قبحه شرعا وعقلا وتصدقون بالله تصدقون باالله جازما يؤدى العمل [82].

يحتوي الكاتب هذه المقالة علي ثلاثة أبحاث ، البحث الأول عن الجهاد فى سبيل الله الثاني عن روح السماحة الإنسانية والمبحث الثالث عن العنصر الأخلاقي في المعاملات.

البحث الأول عن الجهاد فى سبيل الله ، يبحث الكاتب فى هذا المضمون حقيقة الجهاد فى سبيل الله ومقاصده و أهميته وتاكيده وفحويه وحاجاته وعناصره وفضائله بالبراهين القرآنية والأحاديث النبوية والتواريخ الإسلامية . الجهاد وسيلة من وسائل إقامة السلام فى العالم . فذكر أولا حقيقة الدين الإسلام وكمال الدين قد إتضح براهينه لا يحتاج إلى الجبر لمن تقبل منهم الجزية ، فالدلائل بينة يتضح بها الحق من البادل ، والهدى من الضلال . فشرح سيد فى ضمان هذه الأية أنما تكاليف الإسلام عديدة منها :

اولا : حماية المؤمنين ألا يفتنوا عن دينهم . ثانيا : كفالة الحرية الدعوة وإزالة كل قوة طاغية ثالثا : إقرار سلطان الله فى الأرض ،ودفع المعتدين على هذا السلطان . رابعا : إقامة العدالة فى الأرض .

وتعريف الجهاد هو لتحقق كلمة الله العليا فى الأرض خالصة من كل غرض . وتفرض ربوبية الله وحاكميته وعدله . الإسلام يملكوا حرية الإختيار دون تدخل من القوة الطاغية الضالة ويستمتعوا بالعدل يريد الله ترغيبا :

---

[82]) تفسير الميسر ـ ص/64

’’ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ‘‘

تفسيره الذين صدقوا فى ايمانهم إعتقادا وعملا يجاهدون فى سبيل نصرة الحق وأهله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل البغي والفساد فى الأرض .

يتضح سيد قطب هناك مقاصيد الجهاد . يقول ان مبادئ الإسلام الأساسية تضمنت ثورة حقيقية كاملة . مثل ثورة على خلاف ربوبية العباد للعباد والظلم والنظم والحكومات والأوضاع وفرد على جماعة فى صورة حاكم أو مستغل . يجب على المسلمين أن يقاومه مع الأفراد والطبقات ويكتب الجهاد على المسلمين لنصرة هذه الثورة وتحيقيق ربوبية الله وحاكميته فى الأرض. ولتخليص البشرية كل طبقات من الحاكمين الظالمين فى الأشخاص والحكومات والنظم والأوضاع لإقامة السلام العالمي على اسسه الأصولية فى الداخل الدول. أن النظرة الإسلامية نظرة ربانية يحطويها العالم وموضوعها الإنسان. الأيام الحاضر يريد كل نفر العالم السلم الحق ولكن لا يجده . الطاقات التى تريد لإقامة السلم فى العالم فإنهم لن يستطعوا ان تقيم السلم ولكن الأمة المسلمة مكلفة أن تزال عنهم الظلم وتقيم السلم بهذه الثورة يحقق السلام بكل أصناف. كسلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع سلام الإنسانية آخيرا . فآتى بدليل من القرآن منها :

’’يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين،، [83] ’’ ولا يجرمنكم شنآن قوم على الأ تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ‘‘

يفهم بالآية الأولى الإنصاف وشهادة الصدق روح التقوى . لهذا أمر الله تعالى المؤمنين أن يقيموا العدالة فى كل موقف من مواقف الحياة ولا يكتم الشهادة إن يكن خلا ف على والدين

تصور هذه الخطوط طبيعة السلام العالمي فى الإسلام ، السلم التى تقام على حساب البشرية والمبادئ العليا للإنسانية ، كما أراده الله هي السلم التي يحذر الله المسلمين منها :

---

[83]) سورة النساء ـ ١٣٠

'' فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم .

خاطب الله المؤمنين أن لا يضعفوا عن جهاد المشركين ويجبنوا عن قتالهم ، ويدعوهم إلى الصلح والمساء وهم القاهرون لهم والعالون عليهم والله تعالى معهم بنصره وتأييده وفى ذالك بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعد ولن ينقصهم الله ثواب أعمالهم [84]. وقال تعالى :

''إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ''

أي إن ينصر المؤمنين دين الحق بالجهاد فى سبيله ، والحكم بكتابه ، وإمتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ينصرهم الله على أعدائهم ويثبت أقدامهم عند القتال. وقال تعالى :

''ولينصر ن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور''

أي من إجتهد فى نصرة دين الله ،فإن الله ناصره على عدوه إن الله لقوي لا يغالب ، عزيز لا يرام ، قد قهر الخلائق وأخذ بنواصيهم. الذين إن مكناهم فى الأرض ، وإستخلفناهم فيها بإظهارهم على عدوهم ، أقاموا الصلاة بآدائها فى أوقاتها بحدودها ، وأخرجوا زكاة أموالهم إلى أهلها وأمروا ما أمرالله به من حقوق عباده ونهوا عن كل ما نهى الله ورسوله ، ولله وحده مصير الأمور كلها ، والعاقبة للتقوي [85].

فى الإسلام جهاد دائم لتحقيق النظام الصالح الذي يقوم على مبادئه العليا فى عالم الفرد وعالم الجماعة وعالم البشرية ، ذكر هناك سيد فكرة أوربا حدودها الضيقة ولكن فكرة فكرة الإسلامية لا تنظر فى هذا المجال لجنس ولا لون ولا لغة ولا ارض ، الناس سواء لا يعترف أوربا الإسلام لأنها تخالف نظريته الكلية عن وحدة البشرية .

يبين الكاتب وجوهات عديدة للجهاد مع المخالفين. لا رابطة بالمسلمين عهد ولا اتفاق

---

[84]) التفسرير الميسر ـ ص/١١٠
[85]) التفسير الميسر /٣٣٧

وإقامة أرباب من دون الله ، فى الظلم يواجهون الإسلام الفرد والطبقة والدولة وإلى جماعة من البشر لا على الألوان ولا الأديان ، الإسلام يواجه القويى الواقفة فى وجهه بواحد من ثلاث :

1. **الإسلام**
2. **او الجزية**
3. **او القتال**

1. الإسلام صورة آخيرة لدين الله الخالد والناموس لتحقيق العدالة الإنسانية .
2. الجزية دليل الكف عن المقاومه وتحيقيق حرية الدعوة وإزالة القوة المادية .
3. القتال هو رد الباقي على مقاومة كلمة الله عن إصرار وعناد .

يجب على الحكومة الإسلامية أن تعطي الذميين ذمته وعهده لحمايتهم ورعايتهم . ويوخذ منهم الجزية التى مقابل ما يؤدي المسلمون من الزكاة ، ويعطيهم حقوقهم مثل ضماناتهم وتأميناتهم ، فى حالة المرض والعجز والشيخوخة . لا يجبرهم لأداء الزكاة لان الزكاة عبادة خاصة وهى ركن من أركان الإسلام . لهذا المسلم إنما يجاهد فى سبيل الله فلهذا يأخذ منهم الضريبة تحت عنوان الجزية ولا تحت الزكاة.

لهذا لا يكون حناك أعجب ولا أخبث من إثارة الشكوك والمخاوف حول الأقليات المسيحية وغير المسيحية فى الأمة الإسلامية إذا حكم الإسلام . إنها دعاية خبيثة مغرضة آثمة يتولاها جماعة من حمقي هذه الأقليات وخبثائها الذين تنفل نفوسهم حنقا وغلا للإسلام

المبحث الثاني عن روح السماحة الإنسانية . يبحث فيها كيف يربط الإسلام رابطة الإنسانية فى العالم. أظهر سيد أن سائر أعمال الإسلامية وعقيدة الإسلامية لا للجنس واحد ولا للشعب واحد . الإسلام لا يختص لقوم خاص ولقبيلة خاصة ولشعوب خاص لنسب خاص ولكن الإسلام دين جميع الإنسانية . بين فيها أهمية المساوات والإخاء فى الإسلام . وواجبات على المسلمين للهداية الإنسانية وفى دفع الظلم والفساد وإزالة سلطة جائرية على

الرعية وإقامة السكونة فى نفوس الإنسان . وإعراض من الأوصاف القبيحة التى عدم السلام فى العالم . فآتى بدلائل القرآنية والأحاديث النبوية منها :

'' يا ايها الناس إنا خلناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا'' [86]

وخاطب الله فى هذه الآية إن الله خلق الناس من أب واحد هو آدم ، وأم واحدة هي حواء . فلذا بنسبة النسب لا تفاضل بين الناس وجعل الله بالتناسل شعوبا وقبائل متعددة ليعرف بعضهم بعضا ، إن أكرمهم عند الله آشدهم اتقاء له . إن الله عليم بالمتقين ، خبير بهم .

'' ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ـ إلا الذين ظلموا منهم ـ وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل الذين إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون'' [87]

قال الله تعالى فى الآية المذكورة مخاطبا للمؤمنين ألا يخاصمون المؤمنون مع اليهود والنصرى إلا بالأسلوب الحسن. والأقوال الجميلة والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذالك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب ، على المسلمين فليجاهدوهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطي الجزية عن يد وهم صاغرون وليقولوا آمنا بالقرآن وبالتورات والإنجيل الذين أنزل إلى الناس وإله المسلمين وجميع الناس واحد لا شريك له فى ألوهية وربوبيته ولا فى أسمائه وصفاته والمسلمون وحده منقادون مطيعون ، وليسوا عباد ذوي رئاسات دينية ، ولا عباد أنبياء ومرسلين، فهؤلاء كلهم بشر مثلنا مطالبون بان يعبدوا الله ربهم [88].

'' قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله'' [89]

---

[86]) سورة الحجرات ١٣

[87]) سورة العنكبوت : 46

[88]) التفسير الميسر : 602

[89]) سورة الجاثية : 14

يقول الله تعالى يخاطب رسوله للذين آمنوا بالله وأتبعوا رسوله يعفوا ، وتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله ، ولا يخافون بآسه إذا هم نألوا الذين آمنوا بالاذى والمكروه ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون فى الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين .

ويعرض سيد قطب حديثا على هذا الموضوع وهو :

عن جابر بن عبد الله قال : '' مرت بنا جنازة فقام النبي وقمنا . فقلنا يا رسول الله : إنها جنازة يهودي . فقال : او ليست نفسا ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا '' [90]

قد أحسّت الإخوة بين الإنسانية العالمية بهذ ا الحديث . ثم يبيّن واقعة سخاوة عمر للمساكين أهل الكتاب . وواقعة السفر إلى دمشق وعطاء الصدقة لقوم مجذمين من النصارى . هذه الروح السماحة للإسلام تأثرت بين الأقوام المختلفة فى العالم وهم ينتظرون هذه السماحة والعدالة والمساواة .

ويشير الكاتب البارع إلى كتاب '' الدعوة إلى الإسلام '' صاحبه سيرت . أرنولد وترجمة حسن إبراهيم :

'' وقد استطاع ميخائل الأكبر (Michael the Elder) بطيق أنطاكية اليعقوبى أن يحبذ فيما كتبه فى النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، ما كتبه إخوانه فى الدين ، وأن يرى أصبع الله فى الفتوح العربية حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون ، وقد كتب يقول بعد أنسرد إضطهادات هرقل :

" وهذا هو سبب في أن إله الإنتقام الذي يديل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ، ويرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكتهم وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شبقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب لتخليصنا على أيديهم من قبضة الروم . وفى الحق إننا إذا كنا قد تحملنا شيئا من الخسارة بسبب إنتزاع الكنائس الكاثوليكية منا ، وإعطائها لأهل خلقيدونية ، فقد إستمرت هذه الكنائس في حوزتهم ، ولما

---

[90]) البخاري

أسلمت المدن للعرب خصص خؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها ومع ذالك فلم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم الضيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام ".

"ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة فى فحل ، كتب الأهالي المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون : (با معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم إن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأراف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعد لهمأحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم ".

ثم يبيّن سيد قطب هناك كيف كانت حالة الشعور فى بلاد الشام . فيها وقعت الغزوة بين سنتي 633 ، 639 م ، طرد العرب جيش الروم ، وعقد الصلح مع العرب أمنت به السلب والنهب ، فقد قررت حمص ومنبج معاهدات قد أصبحت بمقتضها تابعة للعرب . ولكن سلم بطريق بيت المقدس هذه المدينة . أن خوف الروم من أن يكرههم الإمبراطور على إتباع مذهبه. قد جعل الوعد الذي قطعه المسلمون على أنفسهم بالحرية الدينية . أحب إلى نفوسهم من إرتباطهم بالدولة الرومانية ، وبأية حكومة مسيحية .

يستخلص سيد قطب تفاصيل العهود المختلفة وأهميتها من حيث أنها تمثل الرواية التاريخية التى أخذ بها المؤرخون المسلمون فى القرن الثاني الهجري ـ يورد هنا الشروط التى قيل إن الخليفة عمر بن الخطاب قد وضعها حين سلم له بيت المقدس :

’’ بسم الله الرحمان الرحيم . هذا ما أعطي عبد الله أمير المؤمنين أهل يلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ‘‘

فيذكر هناك أحوال العدل للخلفاء المسلمين خصوصا فى عهد الخلفاء الراشدين حضرة عمر رضى الله عنه ، ألزم عمر الخراج خمسة دنانير من الموسرين ، ومن الطبقة

الوسطى أربعة دنانير ومن الفقراء ثلاثة دنانير. قد زار عمر الأماكن المقدسة عندئذ البطريق كان صاحبه ـ فإذ جائت وقت الصلاة عرض البطريق أن يصلي فى كنيسة القيامة فأعتذر الخليفة وهو يقول إنه إن فعل ذالك فإن أتباعه قد يدعون فيما بعد أنه محل لعبادة المسلمين [91].

هذه الروح تنطوي على حسن معاملة عمر لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ، وأمر عمر أن يعطي قوم مجذومون من النصرى من الصدقات وأن يجري عليهم القوت .وكذالك لا ينسى الذميين .

هذه أفكار الدين ، والعدالة والواقعات التاريخية الماضية والمستقبلة تحقق السلام العالمي فى الأرض ، لأنه ليست عقيدة أخرى التى تمنح الناس هذا النظام غير الإسلام . يتصور الإسلام جميع الناس فى قافلة إنسانية واحدة . يحسون بالأمن والسلام فى الإسلام .

يقول مستر ''جب'' فى كتابه : إلى أين يتجه الإسلام :

'' ولكن الإسلام ما زال فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا فى تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة ، أساسها المساواة . فالجامعة الإسلامية العظمى فى أفريقية والهند وإندونيسيا ، بل تلك الجامعة الصغيرة فى الصين ، وتلك الجامعة الضئيلة فى اليابان ، لتبين كلها أن الإسلام ما زالت له القدرة التى تسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات . فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمي موضع الدرس ، فلا بد من الإلتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع ''

قد يقتطف المؤلف فى هذا المجال من أقوال هذين رجلين أوربيين نصرنيين لأن شهادتهما للإسلام قديما وحديثا باسماحة المطلقة . لا يمكن أن تكون صادرة عن حماسة دينية للإسلام .

---

[91]) السلام العالمي والإسلام : ص / ١٨٣

يقدّم سيد قطب عناصر السماحة الإنسانية لإقرار السلام . فقد الحضارات الإسلامية تمزقه الجماعة الدينية والعنصرية والمذهبية ويقف التطور بسبب هذه العصبيات . وأوضح نقائص السماحة والعدالة . وكيف نشرت الظلمة والبلاء والمجاعات والمخاوف وأنهم يتملكون تسخير الحديد والنار والكهرباء والبخار وصنع القنمبلة الذرية والقنبلة الإيدروجينية والأقمار الصناعية . ولكن ليس فيهم المحبة والسماحة طاقات الإنسانية . وكتب سيد كلمة ختامية على هذا المضمون أن الإسلام دين واحد الذي يقود البشرية ويردها إلى السماحة الإنسانية ، ويحيل كشوفها وعلومها أداة رحمة حضارة وسلام .

والمبحث الثالث عن العنصر الأخلاقي في المعاملات : يبحث فى هذا المضمون روح السلامية هو تحكم العنصر الأخلاقي على العلاقات الدولية فى السلم والحرب سواء. وازن هناك بين تحكم الإسلامي وغير الإسلامي . وضع مشاهدة سيد فى الحكبة التى تحكمت فيها أوربا من عهود الغابة ، وشرائع الذئاب والغدر والنفاق والخسة ونقض العهود وخيانة الوعود وتفريق الإتفاقات ووصف المعاهدات ووحشية الحرب . يقول سيد عن نتائج هذه الأعمال السيئة التى لا تؤمن بدين الحق . ما دامت فكرة قداسة الدولة أو الجنس أو الطبقة ، ولا قداسة الإنسانية .

ثم يوضح عن قوة الإسلام إنطلاق فى الأرض لتقرر ربوبية الله وحده للعباد . تحرر الإنسان من أغلال وأعطاهم الحرية والنور والكرامة . القوة الشريرة التى فى البحث المذكور مبرأة من كل غاية استعمارية وإقتصادية وآتى بمثال الواقعة لعمر بن ’عبد العزيز كان يشكو نقص الجزية لأن الناس آثروا الإسلام . الإسلام يقوم واجبه فى التحرير والتطهير مصلحة البشرية العليا هى هدفه الأول . شرح سيد تشريحا والضحا عن العهد وأهميته وفائدة وفائه فىإسلام ونقصان خلافه فى الإسلام . الإسلام عوض فانهاية ما فقده بالمحافظة على العنصر الأخلاقي فى السلم والحرب من خسائر جزئية ومتاعب وقتية ، وشهد فى فترة ضصيرة كيف جاء نصر الله والفتح ، وكيف دخل الناس فى دين الله أفواجا . جعل الإسلام قانونه فى العالم الإنساني هو الوفاء بالعهد . وأوضحه بدلائل القرآنية منها :

'' وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا " [92] '' وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هى أربى من أمة [93].

يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين أن يلتزموا الوفاء بكل عهد على أنفسهم بينكم وبين الله أو بينكم وبين الناس فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبييه ، ولا يرجعوا فى الأيمان بعد أن أكدواها وقد جعلهم الله عليهم كفيلا وضامنا حين عاهدوا إن الله يعلم ما يفعلونه وسيجويهم عليه . ولا يرجعوا فى عهودهم فيكون مثلهم مثل إمرأة غزلت غزلا وأحكمته ، ثم نقضته ، يجعلون أيمانهم التى حلفواها عند التعاهد خديعة لمن عاهدواه وينقضون عهدهم إذا وجدوا جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدواهم ، إنما يختبرهم الله بما أمرهم به من الوفاء بالعهود وما نهاهم عنه من نقضها ، وليبيّنّ لهم يوم القيامة ما كانوا فيه الدنيا من الإيمان بالله ونبوة محمد صلعم [94].

هذه الحجة تتخذ الدولة فى أوربا لتحقيق نقض العهود ، ومصلحة الدولة ينص القرآن هنا : ''أن تكون أمة هى أربى من أمة '' هذه الرغبة لا تبرر نقض العهد . وينهي المسلمين عن الإستسلام لها . فكتب الكاتب هناك عن أجر الوفاء بالعهد من الله تعالى أجرا عظيما . ويقدر ما حقر الذين ينقضون عهودهم ويخفرون ذمتهم حتى نبذهم من ساحة الإنسانية وجزهم فى حظيرة الحيوانية .

يبين سيد قطب فى هذا المجال أن المشركين ناهضوا المسلمين وآذوهم يوم الصليبية فى الأندلس وفى الحبشة ، أو للشيوعية فى روسيا ويوغوسلابيا والصين . وبعد إتيان الحجة من القرآن وبعض نظرية ومباديء مثالية كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين وفى علاقاتهم الدولية جميعا . والأمثلة على ذالك كثيرة من الواقع التاريخي فى الإسلام ،قد ناقش هناك منها :

---

[92]) سورة الإسراء : ١٧
[93]) سورة النحل ـ ٩١-٩٢
[94]) تفسير الميسر ـ سورة النحل

والواقعة الأولى : حذيفة اليمان وأبوحسيل إذ هما خرجا إلى بدر فأخذ كفار قريش وأخذوا منهما عهد الله لينطلقا إلى المدينة ولا يقاتلا مع النبى صلعم فآتيا رسول الله فأخبراه الخبر فقال النبي صلعم أن ينصرفا يفيا بعهدهم ونستعين الله عليهم .

والواقعة الثانية : إذ وقع صلح الحديبية كان العهد فيه أن من جاء قريشا من أتباع محمد قبلته ، ومن جاء محمدا من أتباع قريشا لم يقبله . قال أبو رافع مولىى رسول الله صلعم : بعثتني قريش إلى النبي ، فلما رأيت النبي وقع فى قلبي الإسلام ، فقلت يارسول الله لا ارجع اليهم ، قال : أني لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرود ، ولكن أرجع اليهم ، فإن كان فى قلبك الذي فيه الآن فارجع .

والواقعة الثالثة : عندما كان سيل بن عمرو يفاوض النبي فى صلح الحديبية وبينما كان يكتب عهد الهدنة وقبل توقيعه جاءه أبو جندل ابن سهيل يوسف فى أغلال وقد فر من الكفار فلما رأي سهيل ابنه قام وأخذ بتلابيبه وقال : يا محمد . لقد لجت القضية بينى وبينك . فقال محمد : صدقت . فقال أبو جندل : بع معشر المسلمين أ أرد إلى المشركين يفتونني فى ديني ؟ فلم يغن عنه ذالك شيئا ، ورده رسول الله وفقا للشروط التى اتفق عليها ، وإن كان بعد لم يوقعها .

والواقعة الرابعة : كتابة أبو عبيدة رضى الله عنه ، وهو قائد الجيش وعمر هو الحليفة : إن عبدا أمّن أهل بلد بالعراق . سأله رأيه . فكتب إليه عمر :إن الله عظّم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ، فوفوا لهم وانصرفوا عنهم . هناك بّين الكاتب ظاهرتين الأولى تصديق عمر لوعد صدر من عبد مسلم. والثانية فهى قولة عمر : '' فلا تكونون أوفياء حتى تفوا '' يصور فكرة الإسلام وطابعه . الإسلام لا يوجد فى الكلمة ولكن مدلول فى العالم الواقع . وهكذا كان الإسلام فى كل مبادئه العليا.

يظهر الكاتب البارع أهمية الشرف والكرامة والأخلاق هذا طريق علوي هو يخشى خيانة الآخرين . ''وإما تخافنّ من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب

الخائنين‘‘[95] نبّه الله تعالى رسوله الكريم إن خاف الرسول من قوم خيانة ظهرت بوادرها فيلقإليهم عهدهم ، كى يكون طرفان مستويين فى العلم بأنه لا عهد بعد اليوم . إن الله لا يحب الخائنين فى عهودهم الناقضين للعهد الميثاق .

يوصف المؤلف الإسلام بصفات كاملة ويخلّص من الأوصاف القبيحة منها لا غدر ولا ضعف ولا تعنت ولا إستخذاء فى الإسلام . وأوصاف الحميدة هى عزة الأقوياء ،ووشرف الكرام ، وعهد الأوفياء. وتبدو فى تأمين المشرك المستجير، لا يعجل الي المشركين بالأذى وهم فى فترة السماع والبيان فآتى بدليل القرآنية :

’’ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ‘‘ [96]

القانون الإسلامي يتضمن الدولي تأمين المبعوثين والمفاوضين وحصانتهم ، فلا يمسون بسوء فى ظروف من الظروف . إذ جاء ابن النواجة وابن آنال رسولا مسيلمة إلى النبي صلعم فقال لهما : أتشهد أنى رسول الله ؟ قالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله ، فقال رسول الله ـ آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما‘‘

ويبيّن هناك أسباب كون الحرب من الإسلام بالمخالفين. وهى لتحرير البشر من العبودية وعلى الطغيان والظلم والشطط وعلى الخرافات والأوهام والأساطير الخالصة من الهوى ومن الدوافع الإقتصادية والعنصرية والطبقية ولتشريف الإنسانية وللحقوق الإنسنية وللمبادئ الإنسانية . وبيّن الحروب التى ليست بحرب عند الإسلام وهى الربح من خلف الصنعات الجهمية وقتات بالأرواح والأجسام وإبتلاع الحضرات والمدنيات وتحطم النفوس والأخلاق وفتح أسواقها للمنتجات والمصنوعات . وتديرها البيوت المالية الربوية ، لتحقيق رباحها الفاحشة وضمان المكسب الحرام .وإستغلال الفرص والصيد فى الماء العكر . ولتضرب بسور فولاذي على الشعب بغير المعرفة والعلم والحضارة كي يبقى أبناء البلاد المحتلة عميا صما بكما ، يساقون سوق الماشية إلى الذبح فى ذل وفى

---

[95]) سورة الأنفال ـ ٥٨
[96]) سورة التوبة

جهل وفى إستسلام . وخوض الحضارة الغربية القذرة ضد الإنسانية والتعصب الدينى والإستعباد العنصري.

الحروب الحقيقة هى الحروب التى تخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وتحمل المساواة والعدالة والكرامة ولكائنات . اجاز الإسلام حربا واحدا : وهو الجهاد فى سبيل الله ومقصده لتكون كلمة الله هى العليا وليكون الناس سواء عند الله . لا تنكيلا ولا تقتيلا ولا تدميرا فى الجهاد وما يجوز أن تمس الأبرياء والضعفاء ، ولا أن تتجاوز غايتها الأولى من إزالة قوى الشر والظلم أو إخضاعها لتأمن الإنسانية شرها . ولا يكون من نية للإبادة أو التشفي أو الإستذلال. وآتى الواقعة التى وقعت فى عهد النبي صلعم وأصحابه . منها :

'' روى رباح بن ربيعة : أنه خرج مع رسول الله صلعمفى غزوة غزاها ، فمر رسول الله وأصحابه على امرأة مقتولة ، فوقف عليها ثم قال : '' ما كانت هذه لتقتل '' ثم نظر فى وجوه أصحابه وقال لأحدهم : '' الحق بخالد بن وليد ، فلا يقتلن ذرية ولا أجيرا ولا إمرأة ''

والواقعة الثانية أن صبية قتلوا بين الصفوف ، فحزن حزنا شديدا . فقال بعضهم : ما يحزنك يا رسول الله وهم صبية للمشركين ؟ فغضب النبي صلعم وقال ما معناه : إن هؤلاء خير منكم إنهم على الطرة . أولستم أبناء المشركين ؟ فإياكم وقتل الأولاد .إياكم وقتل الأولاد .

والواقعة الثالثة عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، ولا تقتلن إمرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما '' وقال أبو بكر فى وصية له لجنده : '' ولا تقطعنّ شجرا ، ولا تخربنّ عامرا .

والواقعة الرابعة من زيد بن وهب قال : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه وفيه .ونهي من الغلو والغدر والقتل للوليد وأختار التقوى فى الفلاحين . ومن وصية عمر

للجيش المسلمين : لا تقتلوا هرما ولا إمرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم إذا التقي الزحفان وعند شن الغارات.

لم تكن تذوب هذه تعاليم نظرية عند الواقع . إنما كانت سلوكا عمليا فى الحروب الإسلامية قديما وحديثا ، بعد الملاحظة الطويلة من هذه القمة الشامخة التى يقف عليها الإسلام فى سلمه وحربه، ونظرة فى الحضارة الغربية سلما وحربا، أدرك الباحث بعد الفرق بين نظام الله للبشر ونظام يضعه الناس للناس. نتيجة تنكرات خسرت البشرية كثيرة وهى تتعثر فى تكبر مضحك وفى تعالم مضحك .

هذه البشرية تطلع فى طريق كلها منحدرات وآكام ، وتلغ فى كل مستنقع آسن من صنع الحضارة الكافرة المغرورة الضالة عن الله . إلا أن يتسلم الإسلام الزمام ، فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام .

الفصل الثالث

الخلاصة

إن كتاب " السلام العالمي والإسلام " عمل من الأعمال القيمة لسيد قطب حول الثورة الإصلاحية . ومساهمة كبيرة لإقامة السلام والأمن في العالم . فطبع هذا الكتاب أولا في 1963م. المفكر الإسلام والكاتب البارع والداع إلى الله سيد قطب يناقش فيه بعض نقاط إهتمام حول موضوع السلام العالمي والجيوش المنافسة وعالم سياسات الإمبراطوري القوي . وإيضا يجعل المقارنة بين الأهداف والنتائج من الحروب والسلام في مسلم وغير مسلم العالم . السلام العالمي والنظرية الإسلامية وطبيعة السلام في الإسلام

، السلام والهدوء في البيت والإجتماعية التوازن هي من بين هذا الموضوع للمسائل التي ناقشتها في هذا الكتاب.

بعد الدراسة الواسعة من هذا الكتاب وجدنا إلى النتائج والإستنتاجات مما يلى :

في أول الأمر ، نجد أن سيد قطب آتى بالبحث عن العقيدة والحياة "مقدمة" وهو مشتمل بالبيان عن التوحيد لله تعالى في تخليق سائر الخلائق بقدرته الكاملة . ويضم فيها عن تصور الحياة كعالم الأرواح والدنيا والموت والبرزخ والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط والميزان والحساب ونتيجة الإثم والثواب وفي جميع أوصاف الله تعالى ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم . ومن أجل ذالك نجد بعض طبائع في الإسلام وهي أثر القومية العصرية والمطامح والمنافع ، أثر الحروب حب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال أو حب المغانم .

وكذالك نجد العنوان " سلام الضمير" نجد هذا مشتمل على ستة أبحاث وهي المنطق والعقيدة ، والأشواق والضرورات ، والخطيئة والتوبة. والتكليف والطاقة ، والإطمئنان إلى الله ، والضمانات والتأمينات. ويبحث في المنطق والعقيدة عن تعريفهما ، وأهميتهما في الإسلام، وكذالك يبين عن أهمية الضرورات والأشواق في الإسلام . ثم يذكر الخطيئة والتوبة وهما من أسباب السلام. في هذا الشان يشير الكاتب إلى واقعة آدم وحواء وكيف أخطا وتابا ونجا من التعذيب . ثم يبحث عن التكليف والطاقة . ثلاثة نتائج التكليف توجد فوق الطاقة منها الأولى الظلم والعشر والحرمان والكبت ومنع الحياة عن التطوع والترقي والمعتدل . والثانية النفور والجماح والخروج على الأوامر والنواهى . والثالثة القلق النفي الدائم والشعور دائما بالخطيئة . ثم يكتب عن الإطمئنان إلى الله يبين فيه كيف تأتى مصادر الإطمئنان في النفس وكيف يربط العباد مع الله . وعن بيان الضمانات والتأمينات يفحص الكاتب على تحقيق الضمانات والتأمنات على ضوء القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وإضافة إلى ذالك يبين فيه عن الحقوق الإنسانية مثل تحفظ النفس والمال والعزة والمعاش والعقائد.

ونجد بهذا الصدد أن هذا الكتاب يؤثر في العصر الحديث على كل حقول من الحياة الإنسانية . إن الإسلام يعطي القواعد الأساسية التي تحاول إقامة الأمن والسلام في العالم. بهذا الصدد يشير الكاتب إلى إصلاح العقيدة وتصور الحياة وكيفيتها . العقيدة الأساسية وهي كلمة التوحيد " لا إله الأ الله محمد رسول الله " . فأولا يلزم على كل مسلم ان يصلح عقيدته الأساسية . فهي تعتمد على ثلاثة . و الإيمان بالله وروسوله واليوم واليوم الآخر . لن تشعر القلوب سلاما وأمنا حتى يصلح إيمانه .

في العنوان " سلام البيت" نجد فيها هذا مشتمل على ستة أبحاث وهى الرباط المقدس ، والحدود ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والتكافل العائلي . يوازن سيد قطب فيه بين المجتمع الإسلامي والأمريكي. وكيف تختلط النساء برجال في المجتماعات الغربية . وكذالك يبين عن الحدود وحكمه وصورته وأهميته في الإسلام بالدلائل القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يبحث عن الطلاق مع صوره الجائزة على حسب الشريعة الإسلامية . ثم يبين عن تعدد الزوجات مع حكمها وأصولها وأهميتها في المجتمع الإسلامي . وكذالك يشرح عن أسباب تعدد الزوجات . في البحث عن التكافل العائلي يضع الحقوق والواجبات لأهل البيت.

يصور الكاتب هذا العنوان إلى بيان كيف يثبت السلام في البيت. تربط الأسرة بصلة الزوج والزوجة ، وبعد الزواج تنشأ المودة والرحمة والتجمل بينهما . عندما أخطأ أحد منهما فله يقرر الإسلام الحد لجريمه . وإن لم يرد إلى الطريق الصحيح فله إختير أن ينفذ الطلاق. وكذالك ترخيص تعدد الزوجات في الإسلام عندما مست الحادة على حسب الإسلام ، فهو لتقرير الأمن في الحياة الفردية والإنسانية كلها متداخلة متعاونة متناسقة . كذالك يبين في هذا عن حقوق الزوجية مستويا مين الزوجات في النفقات والحرية في العبادة . فالإسلام يضمن الزوج والزوجة تكافلا لأمن الاسرة جميعا . ولهما قواعد مخصوصة في الحقوق والواجبات . والقوانين العائلية الإسلامية ينفذ أي شعب ودين ولون وجنس من الإنسانية . هذا نظام عالمي فلذا طل من ينفذ هذا النظام يستفيد كليا . وهو سبب عام لإقامة السلام والأمن في البيت.

ونجد في العنوان "سلام المجتمع " هو مشتمل على عشرة أبحاث . يبين في بحث الأول عن وجدان الحب والرحمة ، وكيف يتأثر في النفس وكيف يرتبط بين جميع الإنسان. وكيف يصبر المؤمن لمؤمن عند المصيبة ويحاول أن ينجي صاحبه من التكليف . وفي البحث عن الأدب النفسي والإجتماعي. يجهر هناك كيف يحقق الحب والصفاء في النفوس والقلوب، ويعلم آداب السلوك والكلام مع الناس وآداب الشى والصوت وإعراض عن بعض مشاعر كالإسخار والإلماز والتنابز والظن الإثم ، والتجسس والغيبة بدلائل القرآنية والإحاديث النبوية والتاريخ الإسلامية. وفي البحث عن شعور التعاون والتضامن. ويكتشف الكتاب فيه عن واجبات المسلمين وحقوقهم بجملة مع بيان رعاية جميع الناس في المجتمع بإقامة الأمن والسلام . وكذالك يبين عن آداب المعاملات عما يحرم في التجارة عن النقصان في الربا والنفع في البيع بآيات القرآن الكريم . وفي الحق عن الأهداف العليا للحياة . ويظهر به كيف يحقق الإسلام في المجتمع الإسلامي ويبين مقاصد الحياة الإنسانيةفي مجال عروج القومي والنشاط والعمل والخيال . وفي بيان نظام الحكم لإقامة السلام في المجتمع عن طريق التشريع والقوانين والإلزام هو أساس من السلم والعدل والطمانينة . والبحث في بيان عن ضمانات العدالة القانونينة ، يتجلى الكاتب هناك عن أهمية ضمانات العدالة القانونية وفضائلها ومقاصدها بإستشهاد القرآن الأحاديث. وفي البحث عن ضمانات الأمن والسلامة صوضح فيه عن كيفية الوجوبات للفرد على ضمانات أمنه وسلامته في الحياة الإجتماعية . وفي البحث عن ضمانات الحياة المعيشة ، يبرز الكاتب كيف يعرف الإسلام الأنسان بالإنسان وطبيعنته . ويضع بجانب التوجيهات لتوفير الكفاية المعيشة. وكذالك يبين كيف يوفر الإسلام ضمانات المعيشية . ويكفلها ويذكر عملا كوسيلة الحياة الولى في الإسلام . وفي البحث عن التوازن الإجتماعي يحقق الكاتب كيف يعمل التوازن الإجتماعي في كل موقف من مواقف الحياة الإنسانية في الشريعة الإسلامية . ويقيم به العدالة الإجتماعية التي تنهض على اسسها السلام الإجتماعي . وفي البيان عن الإطمئنان إلى القانون ، إن هذه الوسيلة لتحقيق السلام في المجتمع هى طبيعة الشريعة الإسلامية . ويعرض سيد قطب في هذا الشان نموذج كثيرة عن الحوائج المختلفة بحكم

الشريعة الإسلامية التي تلزم النفس البشرية في كل النشاط الإنساني وهي حاجة الجسد وحاجة الفكر وحاجة الروح في شعارها وشرائعها سواء .

من المناقشة الواردة نفهم ان هذا العنوان يشكل المجتمع بعلاقات القبائل المختلفة والشعوب المتعددة والأديان المتنوعة والأفكار المتفاوة . يتوفر الإسلام القوانين الأساسية لإقامة السلام والأمن بين الأقوام المختلفة في المجتمع . عندما تنطبق هذه القوانين في مجتمع ، وأسباب تأسيس السلام في المجتمع نجدها مثل الحب والرحمة والأدب النفسي والإجتماعي وشعور التعاون والتضامن والأهداف العليا للحياة ونظام الحكم وضمانات العدالة القانونية وضمانات الأمن والسلامة وضمانات الحياة المعيشية والتوازن الإجتماعي والإطمئنان إلى القانون .

وأما في العنوان "سلام العالم" نجد الكاتب الحاذق يبحث عن مصادر التي تتعلق على تأسيس سلام العالم . يبين فيه عن القوانين الأصولي بدلائل القرآنية . هذا العنوان مشتمل على ثلاثة أبحاث أولا عن الجهاد في سبيل الله ، وثانيا عن روح السماحة الإنسانية وثالثا عن العنصر الأخلاقي في المعاملات .

في البحث الأول يدقق سيد قطب حقائق الجهاد في سبيل الله مع بيان أهميته وتاكيده وفحويه وحاجته وعناصره وفضائله بالبراهن القرآن والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وفي البحث الثاني يفتش روح السماحة الإنسانية . ويبحث فيها كيف يربط الإسلام رابطة الإنسانية في العالم . ويضم القواعد الكلية في الإتحاد الإنسانية وكيف يواقف جميع الناس على سطر واحد ، ويجتنب الناس من الظلم والفساد وإزالة سلطة جائرة على الرعية وإقامة السكينة في نفوس الإنسان .

وفي البحث الثالث عن العنصر الأخلاقي في المعاملات. ويبين الكاتب فيه عن الأوصاف السيئة التي تحكمت فيها أوربا من عهود الغابة ، وشرائع الذئب ، والغدر والنفاق ، والخسة ونقض العهود وخيانة الدعوة وتفريق الإتفاق ووصف المعهدات ووحشية الحرب . وكذالك يبين عن الأوصاف الحميدة التي توجد في ضمان العناصر

الإخلاقي في المعاملات. أن الإسلام يقرر ربوبية الله وحده للعباد . ويتحرر الإنسان من إغلال وإعطاهم الحرية والنور والكرامة.

كذالك هذا الكتاب ينعكس بهذا العنوان كيف يؤسس الإسلام السلام والأمن في العالم . في هذا الشان نذكر أن الإسلام يتوفر القوانين الدولي لإقامة السلام بين الأقوام العالمية . وهي الإعتراف على الحياة الإنسانية وحدة من ناحية الزمان، في طبيعة تخليقه وترزيقه . وكذالك فطرة الإنسان وحدة ممتزة المادة والروح قابلة الإرتفاع . وينتخب الإسلام المؤمنين من جميع الناس وأعلنهم كيف يسلك بالمؤمنين وغيرهم . على حسب نظرية الإسلام يعد البشر والدين والصورة الأخيرة والنهاية لهذا الدين واحدة. ونجد اساس السلام ومبائه من إقرارالله سبحانه بالألوهية والربوبية والحاكمية .

وكذالك الجهاد في سبيل الله سبب من أسباب إقامة السلام في العالم . وحكمة الجهاد هي الدفاع من الفساد والنهب والظلم وقتل غير الحق. في حاضراليوم ، كل القبائل والشعوب والدول مغروقة في التنازع على نسبة السياسة والإقتصاد والدين . ويُقتلون الرجال غير المجرم والنساء الصالحة والأطفال المعصومة. وفي بعض الملوك يوجد هجوم المسلمين في ما بينهم ويوجد هجوم المسلمين على الغير، وكذالك يوجد هجوم غير المسلمين من الهندوسي واليهود والنصارى والبوذية على المسلمين ، وفي بعض البلدان يوجد هجوم الأكثرية على الأقلية.

وإن نفكر هذه المجتمعات فنجد أنهم ينازعون لحصول القيادة وسلطة والأموال . وزراء الملوك لبعض الدول يريدون أن يكونوا طاقة أعلى . فمن جانب الإسلام يتوفر القواعد الأصولية على الدفاع هذه الإضطربات . تضمنت ثورة حقيقية كاملة . كثورة على خلاف ربوبية العباد للعباد والظلم والنظم والحكومة والأوضاع .